الجدة ثعلبة العجوز

ثورنتون دبليو برجس



الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
إنجي إدوارد سليمان

مراجعة
ضياء ورَّاد

هنداوي

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

ثورنتون دبليو برجس

Old Granny Fox

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٥ ١٣٣٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

المحتويات

الفصل الأول

الثَّعْلَبُ ريدي يَأْتِي لِلْجَدَّةِ بِأَخْبَارٍ

تُرَى مَنْ يَرْفُضُ أَنْ يَكُونَ حَامِلًا لِأَخْبَارٍ تَجْلِبُ السَّعَادَةَ؟

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

كَسَا الثَّلْجُ الْمُرُوجَ وَالْغَابَاتِ الْخَضْرَاءَ، وَأَحَاطَ الْجَلِيدُ بِالْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَالْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ. وَكَانَ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة جَائِعَيْنِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ. لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ إِيجَادُ طَعَامٍ كَافٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ؛ لِذَا أَمْضَيَا تَقْرِيبًا كُلَّ دَقِيقَةٍ كَانَا مُسْتَيْقِظَيْنِ فِيهَا فِي الِاصْطِيَادِ. فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَانَا يَصْطَادَانِ سَوِيًّا، وَلَكِنْ عَادَةً مَا كَانَ يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا فِي طَرِيقٍ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ فِي طَرِيقٍ آخَرَ كَيْ تُتَاحَ لَهُمَا فُرْصَةٌ أَكْبَرُ فِي إِيجَادِ شَيْءٍ مَا. كَانَ أَحَدُهُمَا إِذَا وَجَدَ مَا يَكْفِي لِاثْنَيْنِ، يَأْخُذُهُ إِلَى الْبَيْتِ إِذَا اسْتَطَاعَ حَمْلَهُ. وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ حَمْلَهُ، أَخْبَرَ الْآخَرَ أَيْنَ يَجِدُهُ.

لِعِدَّةِ أَيَّامٍ كَانَ مَا يَمْتَلِكَانِ مِنْ طَعَامٍ قَلِيلًا جِدًّا، وَبَلَغَا مِنَ الْجُوعِ أَنْ كَانَا مُسْتَعِدَّيْنِ لِاسْتِغْلَالِ أَيِّ فُرْصَةٍ تَقْرِيبًا لِلْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ مُشْبِعَةٍ. قَامَا بِزِيَارَةِ عُشَّةِ الدَّجَاجِ الْخَاصَّةِ بِالْمُزَارِعِ براون لِلَيْلَتَيْنِ عَلَى أَمَلِ أَنْ يَجِدَا طَرِيقَةً لِلدُّخُولِ، إِلَّا أَنَّ الْعُشَّةَ كَانَتْ مُغْلَقَةً بِإِحْكَامٍ، وَرَغْمَ مُحَاوَلَاتِهِمَا لَمْ يَجِدَا سَبِيلًا لِلدُّخُولِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ، وَهُمَا عَائِدَانِ إِلَى الْمَنْزِلِ بَعْدَ الْمُحَاوَلَةِ الثَّانِيَةِ: «لَا أَمَلَ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ لَيْلًا. إِنْ كُنَّا سَنَحْصُلُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ حَقًّا، يَجِبُ عَلَيْنَا فِعْلُ هَذَا فِي وَضَحِ النَّهَارِ. هَذَا مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّنِي فَعَلْتُهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّنِي لَا أُحَبِّذُ الْفِكْرَةَ. عَلَى الْأَرْجَحِ أَنَّنَا سَنُكْشَفُ؛ وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمُزَارِعَ سَيُكَلِّفُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر بِمُطَارَدَتِنَا.»

قَالَ ريدي مُتَعَجِّبًا: «أُفٍّ! مَاذَا فِي ذَلِكَ؟ إِنَّهُ مِنَ السَّهْلِ خِدَاعُهُ.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ فِي تَوْبِيخٍ: «أَتَظُنُّ ذَلِكَ؟ لَمْ أَرَ بَعْدُ ثَعْلَبًا شَابًّا لَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ مِثْلُ الْآخَرِينَ. بَعْدَ أَنْ تَعِيشَ عُمُرًا طَوِيلًا مِثْلِي سَوْفَ تَتَعَلَّمُ أَلَّا تَكُونَ وَاثِقًا تَمَامَ الثِّقَةِ مِنْ آرَائِكَ. أُوَافِقُكَ فِي أَنَّهُ حِينَ لَا يُوجَدُ ثَلْجٌ عَلَى الْأَرْضِ يَسْتَطِيعُ أَيُّ ثَعْلَبٍ لَدَيْهِ قَدْرٌ كَافٍ مِنْ ذَكَاءِ الثَّعَالِبِ أَنْ يَخْدَعَ باوزر، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَكْسُو الثَّلْجُ كُلَّ مَكَانٍ فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مُخْتَلِفَةٌ تَمَامًا. مَتَى اعْتَزَمَ باوزر أَنْ يَتَعَقَّبَ أَثَرَكَ هَذِهِ الْأَيَّامَ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ أَذْكَى مِمَّا أَظُنُّكَ لِكَيْ تَخْدَعَهُ. سَتَكُونُ الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ كَيْ تَهْرُبَ مِنْهُ هِيَ أَنْ تَدْخُلَ فِي حُفْرَةٍ فِي الْأَرْضِ؛ وَبِهَذَا تَكُونُ قَدْ أَفْصَحْتَ عَنْ سِرٍّ؛ وَهُوَ مَا يَعْنِي أَنَّنَا لَنْ نَنْعَمَ بِالْهُدُوءِ أَبَدًا. لَنْ نَعْرِفَ أَبَدًا مَتَى سَيَرْغَبُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي إِجْبَارِنَا عَلَى مُغَادَرَةِ تِلْكَ الْحُفْرَةِ. لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا مِنْ قَبْلُ. لَا يَا عَزِيزِي، لَنْ نَسْعَى وَرَاءَ أَيٍّ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، إِلَّا إِذَا كُنَّا نَتَضَوَّرُ جُوعًا.»

قَالَ ريدي وَهُوَ يَئِنُّ: «وَلَكِنِّي أَتَضَوَّرُ جُوعًا.»

قَالَتْ لَهُ الْجَدَّةُ فِي تَوْبِيخٍ: «لَا يُوجَدُ شَيْءٌ كَهَذَا! لَقَدْ مَكَثْتُ بِلَا طَعَامٍ لِفَتَرَاتٍ أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ. هَلْ ذَهَبْتَ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ مُؤَخَّرًا؟»

قَالَ ريدي: «لَا! مَا الْفَائِدَةُ؟ إِنَّهُ مُتَجَمِّدٌ. لَا يُوجَدُ شَيْءٌ هُنَاكَ.»

أَجَابَتْهُ الْجَدَّةُ: «رُبَّمَا لَا، وَلَكِنَّنِي تَعَلَّمْتُ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ أَنَّهَا خُطَّةٌ ضَعِيفَةٌ أَنْ أَتَجَاهَلَ أَيَّ فُرْصَةٍ. هُنَاكَ مَكَانٌ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ لَا يَتَجَمَّدُ أَبَدًا؛ لِأَنَّ الْمِيَاهَ تَتَدَفَّقُ بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ، وَقَدْ وَجَدْتُ هُنَاكَ أَكْثَرَ مِنْ وَجْبَةٍ جَرَفَتْهَا الْأَمْوَاجُ إِلَى الشَّاطِئِ. فَاذْهَبْ أَنْتَ إِلَى هُنَاكَ الْآنَ بَيْنَمَا أَبْحَثُ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ أَجِدَهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. إِذَا لَمْ يَجِدْ كِلَانَا أَيَّ شَيْءٍ، فَسَيَكُونُ لَدَيْنَا الْوَقْتُ غَدًا لِلتَّفْكِيرِ فِي دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون.»

أَطَاعَهَا ريدي رَغْمًا عَنْهُ. وَدَمْدَمَ وَهُوَ يُسْرِعُ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ: «لَا فَائِدَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَنْ أَجِدَ هُنَاكَ أَيَّ شَيْءٍ. مَا هِيَ إِلَّا مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ.»

عَادَ مُسْرِعًا إِلَى الْبَيْتِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَعَرَفَتِ الْجَدَّةُ مِنْ طَرِيقَةِ رَفْعِهِ لِأُذُنَيْهِ وَحَمْلِهِ لِذَيْلِهِ أَنَّهُ يَحْمِلُ خَبَرًا مَا، فَسَأَلَتْهُ: «حَسَنًا، مَا الْأَمْرُ؟»

أَجَابَهَا ريدي: «وَجَدْتُ سَمَكَةً مَيْتَةً جُرِفَتْ إِلَى الشَّاطِئِ. لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً بِمَا يَكْفِي لِاثْنَيْنِ فَأَكَلْتُهَا.»

سَأَلَتْهُ الْجَدَّةُ: «هَلْ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ؟»

أَجَابَ ريدي بِبُطْءٍ: «لَا. أَقْصِدُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ ذُو فَائِدَةٍ لَنَا. كَانَتِ الْبَطَّةُ كواكر الْبَرِّيَّةُ تَسْبَحُ فِي الْمِيَاهِ الْمَفْتُوحَةِ، وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنِي ظَلِلْتُ أُرَاقِبُهَا وَقْتًا طَوِيلًا، فَإِنَّهَا لَمْ تَقْتَرِبْ قَطُّ مِنَ الشَّاطِئِ.»

هَتَفَتِ الْجَدَّةُ: «هَا! هَذِهِ أَخْبَارٌ سَعِيدَةٌ. أَعْتَقِدُ أَنَّنَا سَنَذْهَبُ لِاصْطِيَادِ الْبَطِّ.»

الفصل الثاني

الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي يَذْهَبَانِ لِلصَّيْدِ

حِينَمَا تَحَارُ فِي أَيِّ اتِّجَاهٍ يَكُونُ مَسَارُكَ،
أَفْضَلُ مَا تَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ تَمْكُثَ مَكَانَكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ الْمُشْرِقُ قَدْ بَدَأَ لِتَوِّهِ قَفْزَتَهُ الْيَوْمِيَّةَ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ ذَلِكَ الصَّبَاحَ. تَحَرَّكَ تَحْتَ قُرْصِ الشَّمْسِ حَيَوَانَانِ يَجْتَازَانِ الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ الْمُغَطَّاةَ بِالثَّلْجِ. كَانَا يَجْتَازَانِ الْمُرُوجَ مَعًا كَمَا لَوْ أَنَّهُمَا اتَّخَذَا قَرَارَهُمَا بِالْفِعْلِ بِشَأْنِ وُجْهَتِهِمَا. وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ؛ فَقَدْ كَانَا الْجَدَّةَ وَالثَّعْلَبَ ريدي. وَكَانَا مُتَّجِهَيْنِ نَحْوَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ حَيْثُ الْمَكَانُ الَّذِي كَانَتْ تَجْرِي فِيهِ الْمِيَاهُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى إِنَّهَا لَا تَتَجَمَّدُ. كَانَ ريدي قَدْ رَأَى أَمْسِ الْبَطَّةَ كواكر الْبَرِّيَّةَ تَسْبَحُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ هُنَاكَ، وَالْآنَ هُمَا فِي طَرِيقِهِمَا لِمُحَاوَلَةِ الْإِمْسَاكِ بِهَا.

قَادَتِ الْجَدَّةُ الطَّرِيقَ وَتَبِعَهَا ريدي بِخُنُوعٍ. فِي الْحَقِيقَةِ، لَمْ يَكُنْ لَدَى ريدي أَدْنَى أَمَلٍ فِي أَنَّهُمَا سَيَحْظَيَانِ بِفُرْصَةٍ لِلْإِمْسَاكِ بكواكر؛ لِأَنَّ كواكر ظَلَّتْ بَعِيدَةً فِي الْمِيَاهِ، حَيْثُ كَانَتْ بِأَمَانٍ، كَأَنَّهُمَا يَبْعُدَانِ عَنْهَا بِأَلْفِ مِيلٍ. السَّبَبُ الْوَحِيدُ الَّذِي دَفَعَ ريدي لِمُوَافَقَةِ الْجَدَّةِ كَانَ الْأَمَلَ فِي أَنْ يَجِدَ سَمَكَةً مَيْتَةً مُنْجَرِفَةً إِلَى الشَّاطِئِ مِثْلَمَا حَدَثَ الْيَوْمَ السَّابِقَ.

فَكَّرَ ريدي فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَسِيرُ وَرَاءَهَا: «حَتْمًا أَنَّ الْجَدَّةَ قَدْ بَدَأَتْ تَفْقِدُ عَقْلَهَا فِي عُمُرِ الشَّيْخُوخَةِ. لَقَدْ قُلْتُ لَهَا إِنَّ كواكر لَمْ تَقْتَرِبْ وَلَوْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّاطِئِ، وَإِنْ

كَانَتْ تَعْلَمُ شَيْئًا حَقًّا، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا تَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ الْإِمْسَاكَ بِهَا فِي عُرْضِ النَّهْرِ. لَقَدْ كَانَتِ الْجَدَّةُ ذَكِيَّةً فِي شَبَابِهَا، عَلَى مَا أَظُنُّ، وَلَكِنَّهَا حَتْمًا تَفْقِدُ صَوَابَهَا الْآنَ. يَا لَلْأَسَفِ! حَقًّا يَا لَلْأَسَفِ! أَتَخَيَّلُ كَمْ سَتَضْحَكُ كواكر مِنْهَا. عَنْ نَفْسِي سَوْفَ أَضْحَكُ.»

لَقَدْ ضَحِكَ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّهُ تَمَالَكَ نَفْسَهُ بِصُعُوبَةٍ حَتَّى لَا تَرَاهُ الْجَدَّةُ وَهُوَ يَضْحَكُ. كُلَّمَا الْتَفَتَتْ كَانَ يَتَمَالَكُ نَفْسَهُ عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَبْدُو مُتَلَهِّفًا كَمَا لَوْ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُمَا سَيُمْسِكَانِ بِكواكر. وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ الْآنَ فِي غَايَةِ الْحِكْمَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَلَوْ عَلِمَ ريدي بِمَا يَجُولُ فِي خَاطِرِهَا وَهِيَ تَقُودُ الطَّرِيقَ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ، لَمَا كَانَ وَاثِقًا هَكَذَا مِنْ ذَكَائِهِ. كَانَتِ الْجَدَّةُ تَضْحَكُ فِي هُدُوءٍ هِيَ أَيْضًا.

كَانَتْ هِيَ الْأُخْرَى تُفَكِّرُ فِي نَفْسِهَا: «يَظُنُّ أَنَّنِي عَجُوزٌ خَرِفَةٌ وَلَا أَعْلَمُ مَا أَفْعَلُ، الْوَغْدُ الصَّغِيرُ! يَظُنُّ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. لَا يُوجَدُ أَدْنَى جَدْوَى فِي الْعَالَمِ مِنْ مُحَاوَلَةِ إِفْهَامِهِ شَيْئًا. حِينَ يُفَكِّرُ الشَّبَابُ مِثْلَمَا يُفَكِّرُ، يَكُونُ الْكَلَامُ مَعَهُمْ مَضْيَعَةً لِلْوَقْتِ. لَا بُدَّ أَنْ يَرَى بِنَفْسِهِ. لَا شَيْءَ مِثْلُ التَّجْرِبَةِ لِإِزَالَةِ الْغُرُورِ مِنْ هَؤُلَاءِ الشَّبَابِ.»

الْغُرُورُ هُوَ الْإِحْسَاسُ الَّذِي تَعْرِفُهُ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. رُبَّمَا تَعْرِفُهُ، وَلَكِنْ أَيْضًا، رُبَّمَا لَا تَعْرِفُهُ؛ لِذَا، أَحْيَانًا يَكُونُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَثِقَ كَثِيرًا فِي وُجْهَةِ نَظَرِكَ. كَانَ ريدي وَاثِقًا. لَقَدْ سَارَ وَرَاءَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ وَهُوَ يُعِدُّ أَقْوَالًا مَاكِرَةً يَقُولُهَا لَهَا عِنْدَمَا تَجِدُ أَنَّهُ لَا فُرْصَةَ لَهَا فِي الْإِمْسَاكِ بِالْبَطَّةِ كواكر. آسَفُ أَشَدَّ الْأَسَفِ أَنَّ ريدي اعْتَزَمَ أَنْ يَكُونَ وَقِحًا؛ فَمَنْ يَظُنُّونَ أَنْفُسَهُمْ حُكَمَاءَ يَمِيلُونَ أَنْ يَكُونُوا وَقِحِينَ.

وَصَلَا حِينَهَا إِلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ. طَلَبَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مِنْ ريدي أَنْ يَجْلِسَ دُونَ حَرَكَةٍ فِي حِينِ تَتَسَلَّلُ هِيَ وَرَاءَ بَعْضِ الشُّجَيْرَاتِ؛ حَيْثُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْتَلِسَ الْأَنْظَارَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. كَانَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً وَهُوَ يُرَاقِبُهَا. وَكَانَ لَا يَزَالُ مُبْتَسِمًا عِنْدَمَا عَادَتْ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهَا. لَقَدْ تَوَقَّعَ أَنْ يَرَى وَجْهَهَا تَعْتَرِيهِ خَيْبَةُ الْأَمَلِ. عَلَى الْعَكْسِ، بَدَتْ سَعِيدَةً لِلْغَايَةِ.

قَالَتْ: «إِنَّ كواكر هُنَاكَ، أَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَتَكُونُ عَشَاءً جَيِّدًا لَنَا. تَسَلَّلْ وَرَاءَ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ لِكَيْ تَرَى بِنَفْسِكَ، ثُمَّ عُدْ إِلَى هُنَا وَأَخْبِرْنِي مَا تَظُنُّهُ أَفْضَلَ مَا نَفْعَلُ لِكَيْ نُمْسِكَ بِهَا.»

فَذَهَبَ ريدي وَرَاءَ الشُّجَيْرَاتِ، وَكَانَتِ الْجَدَّةُ هِيَ مَنْ تَضْحَكُ هَذِهِ الْمَرَّةَ وَهِيَ تُشَاهِدُ. وَبَيْنَمَا كَانَ ريدي يَتَسَلَّلُ، تَسَاءَلَ إِنْ كَانَتْ كواكر قَدِ اقْتَرَبَتْ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الشَّاطِئِ. لَقَدْ بَدَتِ الْجَدَّةُ فِي غَايَةِ الثِّقَةِ أَنَّهُمَا سَيُمْسِكَانِ بِهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْوَضْعُ هَكَذَا. وَلَكِنْ حِينَمَا نَظَرَ مِنْ بَيْنِ الشُّجَيْرَاتِ، كَانَتْ كواكر هُنَاكَ فِي مُنْتَصَفِ الْمِيَاهِ الْمَفْتُوحَةِ بِالضَّبْطِ حَيْثُمَا كَانَتْ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ.

الفصل الثالث

ريدي وَاثِقٌ مِنْ أَنَّ الْجَدَّةَ قَدْ فَقَدَتْ عَقْلَهَا

رُبَّمَا لَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَرَى أَنْفُسَنَا كَمَا يَرَانَا الْآخَرُونَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

تَمْتَمَ ريدي وَهُوَ يَسْتَرِقُ النَّظَرَ بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ وَيَرَى كواكر وَهِيَ تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ الَّذِي يَتَدَفَّقُ سَرِيعًا وَلَا يَتَجَمَّدُ: «كَمَا تَوَقَّعْتُ بِالضَّبْطِ؛ إِنَّ فُرْصَتَنَا فِي الْإِمْسَاكِ بِهَا هِيَ تَمَامًا مِثْلُ فُرْصَتِي فِي الْقَفْزِ إِلَى الْقَمَرِ. هَذَا مَا سَأَقُولُهُ لِلْجَدَّةِ.»

تَسَلَّلَ بِحَذَرٍ عَائِدًا كَيْ لَا تَرَاهُ كواكر، وَحِينَمَا وَصَلَ إِلَى حَيْثُ كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ الْجَدَّةُ، اعْتَرَتْ وَجْهَهُ نَظْرَةٌ وَقِحَةٌ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «حَسَنًا، مَاذَا نَفْعَلُ لِنُمْسِكَ بِهَا؟»

أَجَابَ ريدي بِنَبْرَةٍ وَقِحَةٍ، حَتَّى إِنَّ الْجَدَّةَ مَنَعَتْ نَفْسَهَا بِصُعُوبَةٍ مِنْ لَكْمِ أُذُنَيْهِ: «نَتَعَلَّمُ كَيْفَ نَسْبَحُ كَالسَّمَكِ وَنَطِيرُ كَالْعَصَافِيرِ.»

فَقَالَتْ فِي هُدُوءٍ: «أَتَعْنِي أَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْإِمْسَاكُ بِهَا؟»

رَدَّ ريدي بِحِدَّةٍ: «أَنَا لَا أَظُنُّ، أَنَا أَعْلَمُ! لَيْسَ مِنْ قِبَلِنَا عَلَى أَيِّ حَالٍ.»

رَدَّتِ الْجَدَّةُ بِحَسْمٍ: «أَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَنْ تُحَاوِلَ عَلَى الْأَقَلِّ.»

أَجَابَ ريدي وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ: «إِنَّنِي كَبِيرٌ بِمَا يَكْفِي لِأَعْرِفَ أَنَّنِي أُضَيِّعُ وَقْتِي.»

احْتَدَّتِ الْجَدَّةُ: «هَذَا يَعْنِي أَنَّكَ تَظُنُّنِي ثَعْلَبَةً عَجُوزًا سَخِيفَةً قَدْ فَقَدَتْ صَوَابَهَا.»

احْتَجَّ ريدي وَهُوَ يَبْدُو مُنْزَعِجًا لِلْغَايَةِ: «لَااا. لَمْ أَقُلْ هَذَا.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «وَلَكِنَّكَ تَظُنُّنِي كَذَلِكَ. وَالْآنَ انْظُرْ أَيُّهَا الذَّكِيُّ، سَتَفْعَلُ مَا أَقُولُ لَكَ تَمَامًا. ازْحَفْ إِلَى هُنَاكَ ثَانِيَةً حَيْثُ تَسْتَطِيعُ مُرَاقَبَةَ كواكر وَكُلِّ مَا يَحْدُثُ، وَاحْرِصْ عَلَى أَلَّا تَرَاكَ. وَالْآنَ اذْهَبْ.»

ذَهَبَ ريدي. لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ خِيَارٌ آخَرُ. لَمْ يَجْرُؤْ أَنْ يَتَمَرَّدَ. ظَلَّتِ الْجَدَّةُ تُرَاقِبُ إِلَى أَنْ وَصَلَ ريدي إِلَى مَكَانِ اخْتِبَائِهِ. بَعْدَ ذَلِكَ، بِرَأْيِكَ مَاذَا فَعَلَتْ؟ لَقَدْ خَرَجَتْ إِلَى وَسَطِ الشَّاطِئِ الصَّغِيرِ تَحْتَ ريدي مُبَاشَرَةً عَلَى مَرْأًى مِنْ كواكر! نَعَمْ يَا عَزِيزِي، هَذَا مَا فَعَلَتْهُ.

ثُمَّ بَدَأَ عَرْضٌ غَرِيبٌ؛ وَلِذَا لَا عَجَبَ فِي أَنَّ ريدي ظَنَّ أَنَّهَا فَقَدَتْ عَقْلَهَا. ظَلَّتْ تَلُفُّ مِرَارًا وَتَكْرَارًا. لَاحَقَتْ ذَيْلَهَا فِي دَوَائِرَ حَتَّى أُصِيبَ ريدي بِدُوَارٍ وَهُوَ يُرَاقِبُهَا. قَفَزَتْ عَالِيًا فِي الْهَوَاءِ. رَكَضَتْ ذَهَابًا وَإِيَابًا. تَلَاعَبَتْ بِعَصًا صَغِيرَةٍ. وَطَوَالَ الْوَقْتِ لَمْ تَنْظُرْ لِلْبَطَّةِ كواكر مُطْلَقًا.

حَدَّقَ ريدي بِإِمْعَانٍ. مَاذَا حَلَّ بِالْجَدَّةِ؟ لَقَدْ جُنَّتْ. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ هَكَذَا. لَا بُدَّ أَنَّهَا ظَلَّتْ بِلَا طَعَامٍ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ حَتَّى إِنَّهَا جُنَّتْ. مِسْكِينَةٌ الْجَدَّةُ! لَقَدْ عَادَتْ إِلَى طُفُولَتِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً. تَذَكَّرَ ريدي كَيْفَ كَانَ يَقُومُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَهُوَ صَغِيرٌ، عِنْدَمَا يَكُونُ سَعِيدًا. وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثَعْلَبَةٍ رَاشِدَةٍ، أَنْ تَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا كَانَ مُهِينًا، عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ. وَكَانَ ريدي يُقَدِّرُ الْكَرَامَةَ جِدًّا. لَقَدْ كَانَ هَذَا أَكْثَرَ مِنْ مُهِينٍ، لَقَدْ كَانَ مُخْزِيًا. أَمَلَ ريدي أَلَّا يَمُرَّ أَحَدُ جِيرَانِهِ وَيَرَى الْجَدَّةَ فِي هَذَا الْوَضْعِ. سَيَخْتَفِي عَنِ الْأَنْظَارِ وَلَنْ يَعْرِفَ بِمَا حَدَثَ وَهُمْ يُشَاهِدُونَهَا.

ظَلَّتِ الْجَدَّةُ تَلُفُّ مِرَارًا وَتَكْرَارًا. لَاحَقَتْ ذَيْلَهَا فِي دَوَائِرَ. طَارَ الثَّلْجُ عَالِيًا مِثْلَ سَحَابَةٍ. وَطَوَالَ الْوَقْتِ لَمْ تُصْدِرْ صَوْتًا. كَانَ ريدي يُحَاوِلُ التَّوَصُّلَ إِلَى قَرَارٍ مَا بَيْنَ أَنْ يَرْحَلَ وَيَتْرُكَهَا حَتَّى تَعُودَ إِلَى قُوَاهَا الْعَقْلِيَّةِ، وَبَيْنَ أَنْ يَخْرُجَ وَيُوقِفَهَا، حِينَ نَظَرَ إِلَى الْمِيَاهِ الْمَفْتُوحَةِ حَيْثُ تُوجَدُ كواكر. وَكَانَتْ كواكر تَجْلِسُ مُسْتَقِيمَةً قَدْرَ مَا اسْتَطَاعَتْ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ جَنَاحَاهَا مَمْدُودَيْنِ عَالِيًا حَتَّى يُسَاعِدَاهَا أَنْ تَجْلِسَ عَلَى ذَيْلِهَا؛ لِرُؤْيَةِ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مِنْ زَاوِيَةٍ أَفْضَلَ.

تَمْتَمَ ريدي: «مُذْهِلٌ! أَعْتَقِدُ أَنَّهَا أَقْرَبُ مِمَّا كَانَتْ!»

رَبَضَ ريدي أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يُرَاقِبَ الْجَدَّةَ، أَخَذَ يُرَاقِبُ الْبَطَّةَ كواكر.

الفصل الرابع

الْبَطَّةُ كواكر تَجْذِبُ الِانْتِبَاهَ

أَكْثَرُ شَيْءٍ مُثِيرٍ لِلْفُضُولِ فِي الْعَالَمِ هُوَ الْفُضُولُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

لَمْ تَقُلِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ شَيْئًا أَصْدَقَ مِنْ هَذَا قَطُّ. إِنَّهُ لَمُثِيرٌ لِلْفُضُولِ حَقًّا كَيْفَ أَنَّ الْفُضُولَ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَخْدَعَ أَكْثَرَ النَّاسِ حِكْمَةً وَرُشْدًا. حَتَّى الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ نَفْسُهَا قَدْ عُرِفَ عَنْهَا أَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ فِي الْمَشَاكِلِ بِسَبَبِ الْفُضُولِ. نَحْنُ نَتَوَقَّعُ هَذَا مِنَ الْأَرْنَبِ بيتر، وَلَكِنَّ بيتر لَيْسَ أَكْثَرَ فُضُولًا مِنْ آخَرِينَ لَا نَتَوَقَّعُهُ مِنْهُمْ.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَتِ الْبَطَّةُ كواكر الْبَرِّيَّةُ هِيَ آخِرَ كَائِنٍ فِي الْعَالَمِ تَتَوَقَّعُ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَشَاكِلِ بِسَبَبِ الْفُضُولِ؛ فَقَدْ أَمْضَتْ كواكر الصَّيْفَ فِي أَقْصَى الشَّمَالِ مَعَ الْوَزَّةِ هونكر. فِي الْحَقِيقَةِ، لَقَدْ وُلِدَتْ هُنَاكَ. لَقَدِ انْطَلَقَتْ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ الْبَعِيدَةِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي انْطَلَقَتْ فِيهِ هونكر، وَلَكِنْ حِينَ وَصَلَتْ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ وَجَدَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الطَّعَامِ؛ لِذَا قَرَّرَتِ الْمُكُوثَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ تُضْطَرَّ إِلَى الِانْتِقَالِ. وَقَدْ تَجَمَّدَ النَّهْرُ الْكَبِيرُ كُلُّهُ مَا عَدَا ذَلِكَ الْمَكَانِ؛ حَيْثُ كَانَتْ تَجْرِي فِيهِ الْمِيَاهُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ لِدَرَجَةِ أَنَّهَا لَا تَتَجَمَّدُ، وَهُنَاكَ مَكَثَتْ كواكر. لَقَدْ كَانَتْ كواكر غَوَّاصَةً مَاهِرَةً، وَفِي قَاعِ النَّهْرِ كَانَتْ قَدْ وَجَدَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الطَّعَامِ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الْإِمْسَاكَ بِهَا هُنَاكَ، مَا لَمْ يَكُنِ الصَّقْرَ ذَا السَّاقِ الْحَادَّةِ. وَإِذَا مَا أَتَى ذُو السَّاقِ الْحَادَّةِ، كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهَا هُوَ أَنْ تَغُوصَ ثُمَّ تَصْعَدَ بَعِيدًا وَهِيَ تَضْحَكُ وَتَسْخَرُ مِنْهُ. لَمْ تَسْتَطِعِ الْمِيَاهُ أَنْ تَعْبُرَ مِنْ خِلَالِ رِيشِهَا الدُّهْنِيِّ؛ لِذَا لَمْ تُلْقِ بَالًا لِمَدَى بُرُودَتِهَا.

كَانَ يُوجَدُ فِي مَوْطِنِ كواكر، فِي أَقْصَى الشَّمَالِ، الْكَثِيرُ مِنَ الْمَخَاطِرِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهَا تَعَلَّمَتْ أَنْ تَكُونَ دَائِمًا فِي حَالَةِ تَرَقُّبٍ، وَأَنْ تَعْتَنِيَ بِنَفْسِهَا أَفْضَلَ عِنَايَةٍ. وَفِي رِحْلَتِهَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، لاحَقَهَا رِجَالٌ ذَوُو أَسْلِحَةٍ مُرِيعَةٍ، وَقَدْ تَعَلَّمَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُمْ. فِي الْوَاقِعِ أَدْرَكَتْ أَنَّهَا قَادِرَةٌ تَمَامًا عَلَى الِابْتِعَادِ عَنِ الْأَذَى. بِالْأَحْرَى تَبَاهَتْ بِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ عَلَى الْقَدْرِ الْكَافِي مِنَ الذَّكَاءِ لِيُمْسِكَ بِهَا. أَظُنُّ أَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّهَا تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَمْرِ، كَانَتْ تُشْبِهُ الثَّعْلَبَ ريدي كَثِيرًا؛ هَذَا لِأَنَّهَا كَانَتْ صَغِيرَةً. تِلْكَ هِيَ عَادَةُ صِغَارِ الْبَطِّ وَالثَّعَالِبِ، وَبَعْضِ الصِّغَارِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ أَعْرِفُهُمْ.

فِي الْبِدَايَةِ، حِينَ رَأَتِ الْبَطَّةُ كواكر الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ، دَاعَبَتْ ذَيْلَهَا الصَّغِيرَ فِي عَبَثٍ، وَابْتَسَمَتْ وَهِيَ تُفَكِّرُ كَمْ أَنَّ الْجَدَّةَ تَتَمَنَّى أَنْ تُمْسِكَ بِهَا. وَلَكِنْ حَتَّى الْآنَ، عَلَى حَدِّ عِلْمِهَا، فَإِنَّ الْجَدَّةَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْهَا.

فَكَّرَتْ كواكر: «إِنَّهَا لَا تَعْلَمُ بِوُجُودِي هَا هُنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ.» ثُمَّ انْتَصَبَتْ فَجْأَةً بِاسْتِقَامَةٍ شَدِيدَةٍ وَنَظَرَتْ بِكُلِّ قُوَّةٍ. مَاذَا دَهَا تِلْكَ الثَّعْلَبَةَ؟ إِنَّهَا تَتَصَرَّفُ وَكَأَنَّهَا فَقَدَتْ عَقْلَهَا فَجْأَةً.

لَقَدْ لَفَّتْ مِرَارًا وَتَكْرَارًا. دَارَتْ فِي دَوَائِرَ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَتَشَقْلَبُ. نَامَتْ عَلَى ظَهْرِهَا وَجَعَلَتْ تَرْفُسُ بِقَوَائِمِهَا الْهَوَاءَ. لَمْ تَعْرِفْ فِي حَيَاتِهَا قَطُّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَكَذَا. لَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا مَا.

بَدَأَتْ كواكر تَتَحَمَّسُ. لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُحَوِّلَ عَيْنَيْهَا عَنِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. بَدَأَتْ تَقْتَرِبُ سَابِحَةً. أَرَادَتْ أَنْ تَرَى مِنْ زَاوِيَةٍ أَفْضَلَ. نَسِيَتْ تَمَامًا أَنَّهَا ثَعْلَبَةٌ؛ لَقَدْ كَانَتْ تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى إِنَّهَا بَدَتْ وَكَأَنَّهَا مُجَرَّدُ بُقْعَةٍ حَمْرَاءَ غَرِيبَةٍ عَلَى الشَّاطِئِ. أَيًّا مَا كَانَتْ تَفْعَلُ كَانَ غَرِيبًا جِدًّا وَمُثِيرًا جِدًّا. فَأَخَذَتِ الْبَطَّةُ كواكر تَسْبَحُ أَقْرَبَ فَأَقْرَبَ. كَانَ الْفُضُولُ أَخَّاذًا. بَدَأَتْ تَسْبَحُ هِيَ الْأُخْرَى فِي دَوَائِرَ. طَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتْ تَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ مِنَ الشَّاطِئِ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا أَدْنَى شُعُورٍ بِالْخَوْفِ. فَقَطْ كَانَتْ فُضُولِيَّةً. أَرَادَتْ أَنْ تَرَى مِنْ زَاوِيَةٍ أَفْضَلَ.

طَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتِ الْجَدَّةُ تَتَصَرَّفُ عَلَى نَحْوٍ غَرِيبٍ، كَانَتْ تُرَاقِبُ كواكر، مَعَ أَنَّهَا لَمْ تَشُكَّ قَطُّ. بَيْنَمَا سَبَحَتْ كواكر مُقْتَرِبَةً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، أَخَذَتِ الْجَدَّةُ تَدُورُ وَتَتَرَاجَعُ إِلَى الْخَلْفِ مُبْتَعِدَةً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. وَأَخِيرًا أَصْبَحَتْ كواكر قَرِيبَةً مِنَ الشَّاطِئِ. إِذَا اسْتَمَرَّتْ فِي

اقْتِرَابِهَا فَسَتَكُونُ عَلَى الْيَابِسَةِ تَمَامًا فِي بِضْعِ دَقَائِقَ. وَظَلَّتْ طَوَالَ الْوَقْتِ تُحَدِّقُ وَتُحَدِّقُ. لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهَا أَيُّ فِكْرَةٍ عَنِ الْخَطَرِ. كَمَا تَرَى، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلتَّفْكِيرِ؛ لِأَنَّ بَالَهَا كَانَ مَلِيئًا بِالْفُضُولِ.

فَكَّرَتِ الْجَدَّةُ: «فِي غُضُونِ دَقِيقَةٍ سَأَحْظَى بِهَا.» وَأَخَذَتْ تَدُورُ أَسْرَعَ مِنْ ذِي قَبْلُ. وَهُنَا فَقَطْ وَقَعَ أَمْرٌ.

الفصل الخامس

الثَّعْلَبُ ريدي يَخْشَى الذَّهَابَ إِلَى الْمَنْزِلِ

أَجَلْ يَا عَزِيزِي، إِنَّ آثَارَ أَقْدَامِ الدَّجَاجِ جَيِّدَةٌ لِلنَّظَرِ، وَلَكِنَّهَا غَالِبًا لَا تَتْرُكُ شَيْئًا فِي فَمِي سِوَى لُعَابٍ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

فَكَّرَ الثَّعْلَبُ ريدي فِي هَذِهِ الْمَقُولَةِ فِيمَا كَانَ يَصْطَادُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، خَائِفًا أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ. كَمَا تَرَوْنَ، فَإِنَّهُ كَادَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْبَطَّةَ كواكر عَلَى الْعَشَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَطَأً مِنْهُ؛ لِذَا كَانَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ. مِنْ مَكَانِ اخْتِبَائِهِ عَلَى الضِّفَّةِ كَانَ قَدْ رَاقَبَ كواكر وَهِيَ تَسْبَحُ مُقْتَرِبَةً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ حَتَّى كَادَتْ تَصِلُ إِلَى الشَّاطِئِ؛ حَيْثُ كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَلُفُّ وَتَدُورُ وَتَتَشَقْلَبُ وَكَأَنَّهَا فَقَدَتْ صَوَابَهَا تَمَامًا. بِالْفِعْلِ، كَانَ ريدي مُتَأَكِّدًا تَمَامًا مِنْ ذَلِكَ فِي الْبِدَايَةِ. إِلَى أَنْ رَأَى أَنَّ الْفُضُولَ قَدْ دَفَعَ كواكر لِلِاقْتِرَابِ، وَأَنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ سَتُمْسِكُ بِهَا، حَتَّى أَدْرَكَ أَنَّ الْجَدَّةَ لَمْ تَكُنْ مَجْنُونَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ حَقًّا تُعَلِّمُهُ خُدْعَةً جَدِيدَةً، وَتُحَاوِلُ اصْطِيَادَ وَجْبَةِ عَشَاءٍ.

حِينَ أَدْرَكَ ذَلِكَ، كَانَ يَجِبُ أَنْ يَخْجَلَ مِنْ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ شَكَّ فِي ذَكَاءِ الْجَدَّةِ وَظَنَّ أَنَّهُ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ. وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَحَمِّسًا جِدًّا؛ مَا مَنَعَهُ مِنَ التَّفْكِيرِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ. اقْتَرَبَتْ كواكر أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ مِنَ الشَّاطِئِ وَعَيْنَاهَا مُثَبَّتَتَانِ عَلَى الْهَيْئَةِ الْمُلْتَفَّةِ الْحَمْرَاءِ لِلْجَدَّةِ. لَمَعَتْ

عَيْنَا ريدي مِنَ الْإِثَارَةِ. هَلْ سَتَظَلُّ كواكر تَقْتَرِبُ نَحْوَ الشَّاطِئِ؟ لَقَدِ اقْتَرَبَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. أَخَذَ ريدي يَدُورُ بِاسْتِمْرَارٍ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى كَمَا أَرَادَ. كَانَتِ الشُّجَيْرَاتُ الَّتِي يَخْتَبِئُ وَرَاءَهَا تَعُوقُ الرُّؤْيَةَ. أَرَادَ أَنْ يَرَى الْجَدَّةَ وَهِيَ تَقُومُ بِتِلْكَ الْقَفْزَةِ الَّتِي تَعْنِي عَشَاءً لِفَرْدَيْنِ.

بَعْدَ أَنْ نَسِيَ مَا أَوْصَتْهُ بِهِ الْجَدَّةُ، رَفَعَ ريدي رَأْسَهُ بِفُضُولٍ لِكَيْ يَتَفَحَّصَ حَافَةَ الضِّفَّةِ. وَالْآنَ تَصَادَفَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّ كواكر نَظَرَتْ فِي ذَلِكَ الِاتِّجَاهِ. عَيْنَاهَا السَّرِيعَتَانِ لَمَحَتَا حَرَكَةَ رَأْسِ ريدي، وَفِي لَحْظَةٍ زَالَ فُضُولُهَا. ذَلِكَ الْوَجْهُ الْحَادُّ الَّذِي يُحَدِّقُ بِهَا مِنْ فَوْقِ حَافَةِ الضِّفَّةِ لَا يَعْنِي سِوَى أَمْرٍ وَاحِدٍ؛ الْخَطَرِ! كُلُّ ذَلِكَ كَانَ خُدْعَةً! لَقَدْ أَدْرَكَتِ الْآنَ. فَدَارَتْ كَالْبَرْقِ. كَانَ صَوْتُ الْأَجْنِحَةِ الْقَوِيَّةِ مِثْلَ الصَّفَّارَةِ وَهِيَ تَتَغَلَّبُ عَلَى الْهَوَاءِ، وَصَوْتُ طَقْطَقَةِ الْأَقْدَامِ وَهِيَ تَضْرِبُ الْمَاءَ وكواكر تَجْرِي. ثُمَّ طَارَتْ إِلَى الْمِيَاهِ الْمَفْتُوحَةِ حَيْثُ الْأَمَانُ. وَثَبَتِ الْجَدَّةُ وَثْبَتَهَا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً، وَلَمْ تَنْجَحْ إِلَّا فِي بَلِّ قَدَمَيْهَا.

بِالطَّبْعِ لَمْ تَعْرِفِ الْجَدَّةُ مَاذَا أَخَافَ كواكر، لَيْسَ فِي الْبِدَايَةِ، عَلَى الْأَقَلِّ. وَلَكِنْ كَانَتْ لَدَيْهَا شُكُوكُهَا. الْتَفَتَتْ وَنَظَرَتْ إِلَى الْمَكَانِ حَيْثُ كَانَ يَخْتَبِئُ ريدي. لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَرَاهُ. ثُمَّ وَثَبَتْ فَوْقَ الضِّفَّةِ. لَمْ يَكُنْ ريدي هُنَاكَ، وَلَكِنْ بَعِيدًا هُنَالِكَ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ كَانَتْ نُقْطَةٌ حَمْرَاءُ تَتَضَاءَلُ وَتَتَضَاءَلُ؛ كَانَ ريدي يَهْرُبُ. حِينَئِذٍ أَدْرَكَتْ مَا حَدَثَ. فِي الْبِدَايَةِ كَانَتِ الْجَدَّةُ غَاضِبَةً. تَعْرِفُونَ أَنَّهُ شَيْءٌ لَا يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونُوا جَائِعِينَ وَتَجِدُوا عَشَاءً جَيِّدًا يَخْتَفِي بَعْدَ أَنْ كَانَ فِي مُتَنَاوَلِ أَيدِيكُمْ.

تَمْتَمَتْ وَهِيَ تُشَاهِدُهُ: «سَأُلَقِّنُ هَذَا الْوَغْدَ دَرْسًا لَنْ يَنْسَاهُ عَمَّا قَرِيبٍ حِينَ أَصِلُ إِلَى الْمَنْزِلِ.» ثُمَّ عَادَتْ إِلَى حَافَةِ ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَهُنَاكَ وَجَدَتْ سَمَكَةً مَيْتَةً قَدْ جُرِفَتْ إِلَى الشَّاطِئِ. كَانَتْ سَمَكَةً طَيِّبَةً جِدًّا، وَحِينَ فَرَغَتِ الْجَدَّةُ مِنْ أَكْلِهَا شَعَرَتْ بِتَحَسُّنٍ.

فَكَّرَتِ الْجَدَّةُ: «عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَقَدْ عَلَّمْتُهُ خُدْعَةً جَدِيدَةً، وَلَنْ يَنْسَاهَا عَلَى الْأَرْجَحِ. هُوَ يَعْلَمُ الْآنَ أَنَّ الْجَدَّةَ مَا زَالَتْ تَعْلَمُ بَعْضَ الْخُدَعِ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا، وَفِي الْمَرَّةِ الْقَادِمَةِ لَنْ يَكُونَ فِي غَايَةِ التَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. أَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ جَدِيرًا بِالْجُهْدِ، حَتَّى وَإِنْ

لَمْ أَصْطَدْ كواكر. يَا إِلَهِي! وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنَّ مَذَاقَهَا كَانَ سَيَبْدُو جَيِّدًا!» وَتَمَطَّقَتِ الْجَدَّةُ وَانْطَلَقَتْ إِلَى الْمَنْزِلِ.

وَلَكِنَّ ريدي كَانَ يَشْعُرُ بِوَخْزِ الضَّمِيرِ، وَخَافَ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ لِذَا، بَائِسًا وَجَائِعًا، ذَهَبَ لِيَصْطَادَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ طَوَالَ اللَّيْلِ، وَأَخَذَ يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ انْتَبَهَ لِمَا قَالَتْهُ لَهُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ.

الفصل السادس

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَغْفُو

أَحْكَمُ النَّاسِ سَيَقَعُونَ فِي الْخَطَأِ، وَلَكِنْ إِنْ كَانُوا بِالْفِعْلِ حُكَمَاءَ فَسَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

يُوجَدُ قَوْلٌ بَيْنَ أَهْلِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ عَلَى غِرَارِ مَا يَلِي:

عَلَيْكَ أَنْ تَبْقَى مُسْتَيْقِظًا دَائِمًا بِلَا نَوْمٍ؛
حَتَّى تُشَاهِدَ الْجَدَّةَ ثعلبة وَقَدْ غَلَبَهَا النَّوْمُ.

بِالطَّبْعِ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ وَالْبَرَاعَةِ، وَدَائِمًا فِي حَالَةِ يَقَظَةٍ، حَتَّى إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَدِيدَ الذَّكَاءِ مَنْ يَخْدَعُهَا أَوْ يَتَفَوَّقُ عَلَيْهَا. إِنَّ ريدي ذَكِيٌّ، حَقًّا ذَكِيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِمِثْلِ ذَكَاءِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. كَمَا تَرَوْنَ، لَمْ يَعِشْ طَوِيلًا مِثْلَهَا؛ لِذَا بِالطَّبْعِ يُوجَدُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مُخْتَزَنَةٍ فِي عَقْلِ الْجَدَّةِ لَا يَعْرِفُ ريدي سِوَى الْقَلِيلِ عَنْهَا.

وَلَكِنْ مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ أَذْكَى النَّاسِ يَغْفُونَ. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، هَذَا يَحْدُثُ. سَيَكُونُونَ مُسْتَهْتِرِينَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ. هَذَا مَا حَدَثَ مَعَ الْجَدَّةِ. مَعَ كُلِّ ذَكَائِهَا وَبَرَاعَتِهَا وَحِكْمَتِهَا كَانَتْ مُسْتَهْتِرَةً، فَإِنَّ الذَّكَاءَ وَالْبَرَاعَةَ وَالْحِكْمَةَ لَا شَيْءَ إِنْ كَانَ مَنْ يَمْتَلِكُهَا مُسْتَهْتِرًا.

كَمَا تَرَوْنَ، لَقَدِ اعْتَادَتِ الْجَدَّةُ أَنْ تَظُنَّ فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا أَذْكَى مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، مَا لَمْ يَكُنِ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ، حَتَّى إِنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ عَلَى قَدْرٍ كَافٍ مِنَ الذَّكَاءِ حَتَّى يُبَاغِتَهَا. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، لَقَدْ ظَنَّتْ ذَلِكَ بِالْفِعْلِ. وَالْآنَ، تَعْرِفُونَ حِينَ يَصِلُ شَخْصٌ إِلَى مَرْحَلَةٍ يَظُنُّ فِيهَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ آخَرُ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ فِي مِثْلِ ذَكَائِهِ، هَذَا الشَّخْصُ مِثْلُ الْأَرْنَبِ بيتر حِينَ اسْتَعَدَّ يَوْمًا مَا فِي أَحِدِ الْأَشْتِيَةِ لِكَيْ يَقْفِزَ عَلَى جَلِيدِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الرَّقِيقِ، الَّذِي سَيَهْوِي بِهِ فِي الْمِيَاهِ. هَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ مَعَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ.

لِأَنَّهَا عَاشَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون فَتْرَةً طَوِيلَةً، وَكَثِيرًا مَا لَاحَقَهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَكَلْبُ الصَّيْدِ باوزر، كَانَتِ الْفِكْرَةُ الْمُسَيْطِرَةُ عَلَيْهَا هِيَ أَنَّهَا مَهْمَا فَعَلَتْ فَلَنْ يَسْتَطِيعُوا اللَّحَاقَ بِهَا؛ لِذَا أَصْبَحَتْ مُؤَخَّرًا مُسْتَهْتِرَةً. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، أَصْبَحَتْ مُسْتَهْتِرَةً. وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَقْوَى أَيُّ ثَعْلَبٍ أَوْ شَخْصٍ عَلَى تَحَمُّلِ نَتَائِجِهِ.

وَالْآنَ، عَلَى حَافَةِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ تُوجَدُ رَبْوَةٌ مُشْمِسَةٌ دَافِئَةٌ، وَهِيَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — مِثْلُ تَلٍّ صَغِيرٍ. كَانَتْ تُطِلُّ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَتْ أَكْثَرَ الْأَمَاكِنِ سِحْرًا وَرَاحَةً يُمْكِنُ أَنْ تَقْضِيَ فِيهَا أَهْنَأَ قَيْلُولَةٍ تَحْتَ الشَّمْسِ. عَلَى الْأَقَلِّ، هَذَا مَا ظَنَّتْهُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ. كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَأْخُذُ قَيْلُولَةً هُنَاكَ. كَانَتْ مَكَانَهَا الْمُفَضَّلَ لِلرَّاحَةِ. حِينَ كَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر يَتَعَقَّبُ آثَارَهَا وَيُطَارِدُهَا حَتَّى تَتْعَبَ مِنَ الْجَرْيِ، وَتَكُونَ قَدْ أَدَّتْ كُلَّ الْمُنَاوَرَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا أَوْ تُرِيدُهَا، كَانَتْ تَقُومُ بِإِحْدَى أَمْهَرِ حِيَلِهَا الَّتِي بِهَا تَجْعَلُ باوزر يَفْقِدُ أَثَرَهَا. ثُمَّ كَانَتْ تَذْهَبُ إِلَى الرَّبْوَةِ؛ حَيْثُ تَسْتَرِيحُ وَتَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً مِنْ ذَكَائِهَا.

حَدَثَ وَأَنَّهَا فَعَلَتْ هَكَذَا يَوْمًا مَا حِينَ هَطَلَ ثَلْجٌ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الْأَرْضِ. بِالطَّبْعِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ تَضَعُ قَدَمَهَا عَلَى الْأَرْضِ، كَانَتْ تَتْرُكُ أَثَرًا فِي الثَّلْجِ. وَحَيْثُ عَقِصَتْ تَحْتَ الشَّمْسِ، تَرَكَتْ أَثَرًا لِجِسْمِهَا. كَانَتِ الْآثَارُ وَاضِحَةً تَمَامًا لِلنَّظَرِ، وَرَآهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون.

لَقَدْ كَانَ يَتَنَزَّهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ، وَبِمَحْضِ الصُّدْفَةِ عَبَرَ بِجَانِبِ آثَارِ أَقْدَامِ الْجَدَّةِ. لِلْمُتْعَةِ فَقَطْ تَتَبَّعَ تِلْكَ الْآثَارَ، وَبِذَلِكَ أَتَى إِلَى مَكَانِ الرَّبْوَةِ الْمُشْمِسَةِ. كَانَتِ الْجَدَّةُ قَدْ غَادَرَتْهُ مُنْذُ فَتْرَةٍ، وَلَكِنْ بِالطَّبْعِ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَأْخُذَ أَثَرَهَا مَعَهَا. ظَلَّ أَثَرُهَا فِي الثَّلْجِ، وَرَآهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَعَرَفَ عَلَى الْفَوْرِ مَعْنَى ذَلِكَ، فَابْتَسَمَ، وَلَوْ كَانَتِ

الْجَدَّةُ رَأَتْ تِلْكَ الِابْتِسَامَةَ لَأَصَابَهَا الِانْزِعَاجُ. كَمَا تَرَوْنَ، لَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ وَجَدَ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَتِ الْجَدَّةُ مُعْتَادَةً أَنْ تَغْفُوَ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «هَكَذَا إِذَنْ! هَذَا هُوَ الْمَكَانُ حَيْثُ تَسْتَرِيحِينَ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ ثعلبة الْعَجُوزُ، بَعْدَ أَنْ تُنْهِكِي أَقْدَامَ باوزر مِنَ الْجَرْيِ. أَظُنُّ أَنَّنَا سَنُفَاجِئُكِ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ الْقَادِمَةِ. نَعَمْ، أَعْتَقِدُ أَنَّنَا سَنُفَاجِئُكِ. لَقَدْ خَدَعْتِنَا مِرَارًا كَثِيرَةً، وَجَاءَ دَوْرُنَا الْآنَ.»

فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَضَعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ عَلَى كَتِفِهِ، وَأَطْلَقَ الْكَلْبَ باوزر لِكَيْ يَتَتَبَّعَ آثَارَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ حَتَّى ضَجَّ صَوْتُ باوزر الْجَهْوَرِيُّ مُعْلِنًا أَنَّهُ وَجَدَ آثَارَ أَقْدَامِ الْجَدَّةِ. ضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِثْلَمَا ضَحِكَ الْيَوْمَ الْمَاضِيَ. ثُمَّ ذَهَبَ وَمَعَهُ بُنْدُقِيَّتُهُ الرَّهِيبَةُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَاخْتَبَأَ تَحْتَ بَعْضِ أَغْصَانِ الصَّنَوْبَرِ عَلَى حَافَةِ تِلْكَ الرَّبْوَةِ الْمُشْمِسَةِ تَمَامًا.

انْتَظَرَ بِأَنَاةٍ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ جِدًّا. سَمِعَ صَوْتَ باوزر وَهُوَ يَعْلُو أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ مِنَ الْحَمَاسِ، وَهُوَ يَتْبَعُ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ. بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ، تَوَقَّفَ باوزر عَنِ النُّبَاحِ، وَبَدَأَ يَعْوِي بِلَا تَوَقُّفٍ. عَلِمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَعْنَى ذَلِكَ. كَانَ هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْجَدَّةَ لَعِبَتْ وَاحِدَةً مِنْ أَذْكَى حِيَلِهَا، وَأَنَّ باوزر فَقَدَ أَثَرَهَا.

بَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ أَتَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَتْ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً. لِمَرَّةٍ ثَانِيَةٍ قَدْ خَدَعَتْ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر، وَالْآنَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَغْفُوَ فِي سَلَامٍ. وَحِينَ كَانَتْ لَا تَزَالُ مُبْتَسِمَةً، نَظَرَتْ حَوْلَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا لِتُطَمْئِنَ نَفْسَهَا، ثُمَّ — بِتَنْهِيدَةٍ مِنَ الرِّضَى — عَقَصَتْ نَفْسَهَا لِقَيْلُولَةٍ تَحْتَ الشَّمْسِ، وَفِي غُضُونِ دَقَائِقَ غَفَتْ. وَلَكِنْ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا، وَرَاءَ أَغْصَانِ الصَّنَوْبَرِ، كَانَ يَجْلِسُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً. أَخِيرًا اسْتَطَاعَ أَنْ يُمْسِكَ بِالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ وَقَدْ غَلَبَهَا النَّوْمُ.

الفصل السابع

الْجَدَّةُ ثعلبة يُرَاوِدُهَا كَابُوسٌ

لَا شَيْءَ يَحْدُثُ هَكَذَا، ضَعْ هَذَا فِي الِاعْتِبَارِ.
إِذَا بَحَثْتَ جَيِّدًا وَبِإِمْعَانٍ، فَسَتَجِدُ دَائِمًا أَسْبَابًا.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَحْلُمُ. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، كَانَتْ تَحْلُمُ. كَانَتْ نَائِمَةً هُنَاكَ، مُتَكَوِّرَةً عَلَى نَفْسِهَا عَلَى الرَّبْوَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُشْمِسَةِ عَلَى حَافَةِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، تَغُطُّ فِي النَّوْمِ وَتَحْلُمُ. كَانَ الْمَكَانُ سَاحِرًا وَمُرِيحًا جِدًّا بِالْفِعْلِ؛ فَقَدْ سَكَبَ هُنَاكَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ الْمُشْرِقُ أَدْفَأَ أَشِعَّتِهِ مِنَ السَّمَاءِ الشَّدِيدَةِ الزُّرْقَةِ. عِنْدَمَا تَكُونُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مُتْعَبَةً، كَثِيرًا مَا كَانَتْ تَتَسَلَّلُ إِلَى هُنَاكَ لِتَأْخُذَ قَيْلُولَةً وَحَمَّامَ شَمْسٍ حَتَّى فِي الشِّتَاءِ. كَانَتْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَعْلَمُ بِهَذَا الْأَمْرِ. كَانَ أَحَدَ أَسْرَارِهَا.

ذَاكَ الصَّبَاحَ كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مُتْعَبَةً جِدًّا، عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ؛ أَوَّلًا خَرَجَتْ طَوَالَ اللَّيْلِ لِتَصْطَادَ، ثُمَّ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَنْزِلِ، كَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر قَدْ وَجَدَ آثَارَ أَقْدَامِهَا وَبَدَأَ يَتَتَبَّعُهَا. بِالطَّبْعِ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ جَدْوَى مِنْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْمَنْزِلِ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ جَدْوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ كَانَ باوزر سَيَتَتَبَّعُهَا مُبَاشَرَةً وَيَكْتَشِفُ أَيْنَ تَعِيشُ؛ لِذَا قَادَتْ باوزر بَعِيدًا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَأَخِيرًا مَارَسَتْ إِحْدَى أَمْهَرِ حِيَلِهَا؛ حَيْثُ مَزَجَتْ آثَارَ أَقْدَامِهَا حَتَّى لَمْ يَعُدْ بِاسْتِطَاعَةِ باوزر أَنْ يَتَتَبَّعَهَا. بَيْنَمَا أَخَذَ الْكَلْبُ باوزر يَتَشَمَّمُ وَيَتَشَمَّمُ وَيَتَشَمَّمُ بِوَاسِطَةِ أَنْفِهِ الْعَجِيبِ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِمَعْرِفَةِ أَيْنَ ذَهَبَتْ،

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ قَدْ أَسْرَعَتْ بِدُونِ تَرَدُّدٍ إِلَى الرَّبْوَةِ الْمُشْمِسَةِ، وَعَقِصَتْ هُنَاكَ لِتَسْتَرِيحَ. وَفِي الْحَالِ غَفَتْ.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ، مِثْلَ غَالِبِيَّةِ أَهْلِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، تَغْفُو وَأُذُنَاهَا مَفْتُوحَتَانِ مُصْغِيَتَانِ. قَدْ تَكُونُ عَيْنَاهَا مُغْلَقَتَيْنِ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُذُنَاهَا؛ فَهُمَا دَائِمًا عَلَى أُهْبَةِ الِاسْتِعْدَادِ حَتَّى وَهِيَ نَائِمَةٌ، وَعِنْدَ أَدْنَى صَوْتٍ تَفْتَحُ عَيْنَيْهَا عَلَى الْفَوْرِ، وَتَكُونُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِلْفِرَارِ. لَوْلَا هَذَا، لَمَا جَرُؤَتْ أَنْ تَأْخُذَ قَيْلُولَةً فِي الْخَلَاءِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ. إِذَا أَرَدْتَ يَوْمًا أَنْ تُمْسِكَ بِثَعْلَبٍ غَافٍ، يَجِبُ أَلَّا تُصْدِرَ أَدْنَى صَوْتٍ، تَذَكَّرْ هَذَا.

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، حَالَمَا أَغْلَقَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عَيْنَيْهَا، بَدَأَتْ تَحْلُمُ. فِي الْبِدَايَةِ، كَانَ حُلْمًا مُمْتِعًا جِدًّا، أَكْثَرَ الْأَحْلَامِ مُتْعَةً لِأَيِّ ثَعْلَبٍ. كَانَتْ تَحْلُمُ بِعَشَاءٍ مِنَ الدَّجَاجِ؛ كُلِّ الدَّجَاجِ الْمُمْكِنِ أَكْلُهُ. بِالطَّبْعِ اسْتَمْتَعَتِ الْجَدَّةُ بِذَلِكَ الْحُلْمِ. لَقَدْ جَعَلَهَا تَتَمَطَّى وَكَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَ حُلْمًا كَانَتْ تَحْلُمُهُ.

وَلَكِنِ الْآنَ تَغَيَّرَ الْحُلْمُ وَأَصْبَحَ كَابُوسًا. أَجَلْ، بِالْفِعْلِ، أَصْبَحَ كَابُوسًا. كَانَ فِي غَايَةِ السُّوءِ مِثْلَمَا كَانَ فِي الْبِدَايَةِ فِي غَايَةِ الْمُتْعَةِ. بَدَا لِلْجَدَّةِ أَنَّ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر أَصْبَحَ شَدِيدَ الذَّكَاءِ، أَذْكَى مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَتْهُ، فَإِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ خِدَاعَهُ. لَمْ يَخْدَعْهُ أَيٌّ مِنَ الْخُدَعِ الَّتِي تَعْرِفُهَا، مَعَ أَنَّهَا تَعْرِفُ الْكَثِيرَ. لَمْ تَخْدَعْهُ لِوَقْتٍ يَكْفِي أَنْ تَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهَا.

أَخَذَ باوزر يَقْتَرِبُ وَيَقْتَرِبُ وَيَقْتَرِبُ، هَذَا كُلُّهُ فِي الْحُلْمِ، حَتَّى بَدَا وَكَأَنَّ صَوْتَهُ الْعَالِيَ قَدِ اقْتَرَبَ تَمَامًا مِنْهَا. كَانَتْ فِي غَايَةِ التَّعَبِ، حَتَّى إِنَّهُ بَدَا لَهَا أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَخْطُوَ خُطْوَةً أُخْرَى. كَانَ حُلْمًا حَقِيقِيًّا جِدًّا جِدًّا. كَمَا تَعْرِفُونَ، فَقَدْ تَبْدُو الْأَحْلَامُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَأَنَّهَا حَقِيقَةٌ. هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ حُلْمُ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. بَدَا لَهَا أَنَّهَا تَشْعُرُ بِأَنْفَاسِ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر، وَأَنَّ فَكَّهُ الْكَبِيرَ قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَنْطَبِقَ عَلَيْهَا وَيَخْنُقَهَا حَتَّى الْمَوْتِ.

صَرَخَتِ الْجَدَّةُ وَهِيَ تَسْتَيْقِظُ: «لَا! لَا!» انْفَتَحَتْ عَيْنَاهَا عَلَى الْفَوْرِ، ثُمَّ زَفَرَتْ بِتَنْهِيدَةِ ارْتِيَاحٍ كَبِيرَةٍ؛ حَيْثُ أَدْرَكَتْ أَنَّ رُعْبَهَا الْعَظِيمَ كَانَ كَابُوسًا فَقَطْ، وَأَنَّهَا مُتَكَوِّرَةٌ عَلَى نَفْسِهَا عَلَى الرَّبْوَةِ الْمُشْمِسَةِ الْقَدِيمَةِ الْمَأْلُوفَةِ الْمَحْبُوبَةِ وَلَا تُحَاوِلُ الْهَرَبَ لِلنَّجَاةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي الْخَوْفِ الَّذِي اعْتَرَاهَا. حَسَنًا، هِيَ لَمْ تَعْرِفْ هَلْ كَانَتْ يَقِظَةً أَمْ مَا زَالَتْ تَحْلُمُ. لَا يَا عَزِيزِي، لَمْ تَكُنْ. لِمُدَّةِ دَقِيقَةٍ كَامِلَةٍ لَمْ تَكُنْ مُتَأَكِّدَةً إِنْ كَانَ مَا تَرَاهُ حَقِيقِيًّا أَمْ كَانَ جُزْءًا مِنْ كَابُوسِهَا. لَقَدْ كَانَتْ تُحَدِّقُ بِوَجْهِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَفُوَّهَةِ بُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ.

لَمْ تَتَحَرَّكْ لِبِضْعِ ثَوَانٍ. لَمْ تَسْتَطِعْ. لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ شِدَّةِ رُعْبِهَا. ثُمَّ أَدْرَكَتْ أَنَّ مَا رَأَتْهُ كَانَ حَقِيقِيًّا جِدًّا وَلَيْسَ حُلْمًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَدْنَى شَكٍّ. كَانَ هَذَا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَتْ هَذِهِ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيبَةَ! وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ أَدْرَكَتْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ مُخْتَبِئًا وَرَاءَ أَغْصَانِ الصَّنَوْبَرِ.

مِسْكِينَةٌ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ! لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِهَا يَتِمُّ الْإِمْسَاكُ بِهَا غَافِيَةً. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا أَدْنَى أَمَلٍ فِي الْعَالَمِ. كُلُّ مَا عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون هُوَ أَنْ يُطْلِقَ الرَّصَاصَ مِنْ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ، وَتَكُونُ تِلْكَ نِهَايَتَهَا. كَانَتْ تَعْرِفُ ذَلِكَ.

الفصل الثامن

مَا فَعَلَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون

فِي أَوْقَاتِ الْخَطَرِ: فَكِّرْ جَيِّدًا وَبِسُرْعَةٍ،
وَلَكِنْ رَجَاءً كُنْ هَادِئًا.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

مِسْكِينَةٌ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ! لَقَدْ ظَنَّتْ سَابِقًا أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي مَآزِقَ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنْ لَمْ تَقَعْ قَطُّ فِي مَأْزِقٍ مِثْلِ هَذَا. وَقَفَ هُنَاكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَنْظُرُ إِلَيْهَا عَبْرَ مِنْظَارِ بُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ، عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ، قَرِيبَةٍ جِدًّا مِنْهَا! لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ فَائِدَةٌ مِنَ الْهَرَبِ. كَانَتِ الْجَدَّةُ تَعْلَمُ هَذَا. تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةُ الرَّهِيبَةُ سَتَنْطَلِقُ! وَسَتَكُونُ تِلْكَ نِهَايَتَهَا.

لِبِضْعِ ثَوَانٍ كَانَتْ تُحَدِّقُ بِوَجْهِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَحَرَّكَ أَوْ حَتَّى تُفَكِّرَ مِنْ شِدَّةِ رُعْبِهَا. ثُمَّ بَدَأَتْ تُفَكِّرُ لِمَ لَمْ تَنْطَلِقْ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةُ الرَّهِيبَةُ؟ مَاذَا يَمْنَعُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون؟ وَقَفَتْ عَلَى قَدَمَيْهَا. كَانَتْ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ أَوَّلَ خُطْوَةٍ لَهَا سَتَكُونُ آخِرَ خُطْوَةٍ، مَعَ ذَلِكَ لَمْ تَسْتَطِعِ الْبَقَاءَ هُنَاكَ.

كَيْفَ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُقْدِمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَمَلِ الْمُرَوِّعِ؟ بِطَرِيقَةٍ مَا، لَمْ يَبْدُ وَجْهُهُ الْمُنَمَّشُ قَاسِيًا! حَتَّى إِنَّهُ بَدَأَ يَبْتَسِمُ. لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا لِأَنَّهُ أَمْسَكَ بِهَا غَافِيَةً وَعَلِمَ أَنَّهَا لَنْ تَتَمَكَّنَ مِنَ الْهَرَبِ مِنْهُ مِثْلَمَا فَعَلَتْ فِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ سَابِقَةٍ. وَأَخَذَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَنْتَحِبُ فِي صَمْتٍ.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ عَيْنِهَا فَعَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون شَيْئًا مَا. فِي رَأْيِكُمْ مَاذَا فَعَلَ؟ لَا، لَمْ يُطْلِقِ الرَّصَاصَ عَلَيْهَا. لَمْ يُطْلِقْ رَصَاصَ بُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ. فِي رَأْيِكُمْ مَاذَا حَدَثَ؟

يَا لَلْهَوْلِ! لَقَدْ رَمَى الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ بِكُرَةٍ ثَلْجِيَّةٍ وَصَاحَ: «مُفَاجَأَةٌ!» هَذَا مَا فَعَلَهُ، وَهُوَ كُلُّ مَا فَعَلَ، بِاسْتِثْنَاءِ الضَّحِكِ، وَالْجَدَّةُ تَقْفِزُ قَفْزَةً كَبِيرَةً، وَتَجْرِي وَكَأَنَّ قَدَمَيْهَا السَّوْدَاوَيْنِ تَطِيرَانِ.

فِي كُلِّ لَحْظَةٍ كَانَتِ الْجَدَّةُ تَنْتَظِرُ أَنْ تَسْمَعَ صَوْتَ تِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيبَةِ، وَبَدَا وَكَأَنَّ قَلْبَهَا سَيَنْفَجِرُ مِنَ الْهَلَعِ وَهِيَ تَرْكُضُ، ظَانَّةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَقْفِزُ فِيهَا أَنَّهَا سَتَكُونُ آخِرَ قَفْزَةٍ. وَلَكِنَّ الْبُنْدُقِيَّةَ الرَّهِيبَةَ لَمْ تَنْطَلِقْ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ، بَعْدَ أَنْ شَعَرَتْ أَنَّهَا بِأَمَانٍ، الْتَفَتَتْ لِتَنْظُرَ وَرَاءَهَا. كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لَا يَزَالُ وَاقِفًا فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ الَّذِي رَأَتْهُ فِيهِ آخِرَ مَرَّةٍ، وَكَانَ يَضْحَكُ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ. أَجَلْ، لَقَدْ كَانَ يَضْحَكُ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِلَّا أَنَّ ضِحْكَتَهُ كَانَ لَهَا وَقْعٌ لَطِيفٌ عَلَى السَّمْعِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ ضِحْكَةً وَدُودَةً وَمَرِحَةً، وَكُلُّ مَا يَكُونُ مِنْ ضِحْكَةٍ مِنَ الْقَلْبِ.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «اذْهَبِي يَا جَدَّةُ! اذْهَبِي! وَفِي الْمَرَّةِ الْمُقْبِلَةِ الَّتِي يَطِيبُ لَكِ فِيهَا أَنْ تَسْرِقِي دَجَاجِي، فَقَطْ تَذَكَّرِي أَنَّنِي أَمْسَكْتُ بِكِ غَافِيَةً وَأَعْتَقْتُكِ فِي حِينِ كَانَ بِإِمْكَانِي اصْطِيَادُكِ. فَقَطْ تَذَكَّرِي هَذَا وَاتْرُكِيهِمْ وَشَأْنَهُمْ.»

وَحَدَثَ أَنَّ طَائِرَ الْقَرْقَفِ تومي رَأَى كُلَّ مَا كَانَ، وَأَخَذَ يُقَرْقِرُ عَلَى نَحْوٍ جَمِيلٍ وَهُوَ سَعِيدٌ. صَاحَ: «تَمَامًا مِثْلَمَا قُلْتُ؛ لَيْسَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِالشَّخْصِ السَّيِّئِ. كَانَ سَيُصَاحِبُ الْكَائِنَاتِ جَمِيعًا إِنْ سَمَحَتِ الْكَائِنَاتُ لَهُ بِذَلِكَ.»

دَمْدَمَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي، الَّذِي رَأَى هُوَ أَيْضًا كُلَّ مَا حَدَثَ: «رُبَّمَا، رُبَّمَا، وَلَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ أَذْكَى بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ أَثِقَ بِهِ. يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! مَاذَا سَيُقَالُ عَمَّا حَدَثَ؟! لَنْ تَسْلَمَ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مِنَ الْكَلَامِ. إِذَا حَاوَلَتْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ تَتَبَاهَى بِمَدَى ذَكَائِهَا، كُلُّ مَا عَلَيْنَا هُوَ فَقَطْ أَنْ نُذَكِّرَهَا بِالْمَرَّةِ الَّتِي أَمْسَكَ فِيهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِهَا وَهِيَ غَافِيَةٌ. هَا! هَا! هَا! يَجِبُ أَنْ أُسْرِعَ وَأَجِدَ ابْنَ عَمِّي الْغُرَابَ بلاكي. هَذَا سَيَجْعَلُهُ يَقَعُ مِنَ الضَّحِكِ.»

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ تَخْشَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ، لَيْسَ بِسَبَبِ مَا فَعَلَهُ بِهَا، وَلَكِنْ بِسَبَبِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ بِهَا. فَلَا يُوجَدُ مَا يَجْعَلُهَا

تُصَدِّقُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا لَهَا. ظَنَّتْ أَنَّهُ أَعْتَقَهَا فَقَطْ لِيُظْهِرَ لَهَا أَنَّهُ أَذْكَى مِنْهَا! بَدَلًا مِنْ مَشَاعِرِ الِامْتِنَانِ، مَلَأَتْ مَشَاعِرُ الْكُرْهِ وَالْخَوْفِ قَلْبَ الْجَدَّةِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ:

إِنَّ مَنْ يُضْمِرُ السُّوءَ،
يَظُنُّ أَيْضًا بِالنَّاسِ السُّوءَ.

الفصل التاسع

ريدي تَصِلُهُ أَخْبَارُ الْجَدَّةِ ثعلبة

قَدْ تَظُنُّ أَنَّ الْآخَرَ جَانَبَهُ الصَّوَابُ،
وَأَنَّكَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الصَّوَابِ،
لَكِنْ لَا تَتْرُكِ الْعِنَانَ لِانْفِعَالِكَ،
وَحَاوِلْ عَلَى الْأَقَلِّ أَنْ تُرَاعِيَ أَخْلَاقَكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

أَسْرَعَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، ضَاحِكًا وَهُوَ يَطِيرُ. كَانَ سامي يَنْشُرُ الْأَخْبَارَ أَيْنَمَا طَارَ؛ كَيْفَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَمْسَكَ بِالْجَدَّةِ وَهِيَ غَافِيَةٌ. لَمْ يَكُنْ سامي لِيُصَدِّقَ مَا حَدَثَ إِذَا أَخْبَرَهُ أَحَدُهُمْ بِالْأَمْرِ. لَا، لَمْ يَكُنْ لِيُصَدِّقَ، وَلَكِنَّهُ رَآهُ بِأُمِّ عَيْنِهِ، وَشَعَرَ بِدَغْدَغَةٍ فِي كُلِّ جَسَدِهِ حِينَ تَفَكَّرَ أَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ، الَّتِي يَظُنُّ الْكُلُّ أَنَّهَا فِي غَايَةِ الْمَكْرِ وَالذَّكَاءِ، قَدْ أَمْسَكَ بِهَا الشَّخْصُ نَفْسُهُ الَّذِي تَخْشَاهُ كَثِيرًا وَهِيَ بِالْفِعْلِ نَائِمَةٌ؛ الشَّخْصُ نَفْسُهُ الَّذِي كَانَتْ دَائِمًا مَا تَسْخَرُ مِنْهُ.

رَاقَبَ سامي الثَّعْلَبَ ريدي وَهُوَ يَطَأُ الدَّرْبَ الصَّغِيرَ الْمُنْعَزِلَ. دَائِمًا مَا كَانَ ريدي يَتَبَاهَى بِمَدَى ذَكَاءِ الْجَدَّةِ ثعلبة. لَقَدْ تَبَاهَى إِلَى دَرَجَةِ أَنَّ الْجَمِيعَ سَئِمُوا مِنْ سَمَاعِهِ. حِينَ رَأَى سامي ريدي وَهُوَ يَطَأُ الدَّرْبَ الصَّغِيرَ الْمُنْعَزِلَ، أَخَذَ يَضْحَكُ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ. اخْتَبَأَ دَاخِلَ شَجَرَةِ شَوْكَرَانٍ سَمِيكَةٍ وَصَاحَ أَثْنَاءَ مُرُورِ ريدي:

إِذَا كَانَتْ لَدَيَّ جَدَّةٌ عَجُوزٌ غَبِيَّةٌ،

مِثْلَ بَعْضِ النَّاسِ الَّتِي تَظُنُّ نَفْسَهَا ذَكِيَّةً،
لَمَا كُنْتُ أَتبَاهَى بِجَدَّتِي قَطْعًا،
بَلْ أَعِيشُ وَحْدِي بِمَعْزِلٍ أَبَدًا.

نَظَرَ ريدي غَاضِبًا إِلَى أَعْلَى. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي. وَلَكِنَّهُ مَيَّزَ صَوْتَ سامي. لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. فَالْجَمِيعُ يَعْرِفُ صَوْتَ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي. بِالطَّبْعِ كَانَ مِنَ الْغَبَاءِ، شِدَّةِ الْغَبَاءِ، أَنْ يَغْضَبَ ريدي، وَالْأَكْثَرُ غَبَاءً أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ غَاضِبٌ. لَوْ كَانَ تَمَهَّلَ لِدَقِيقَةٍ لِيُفَكِّرَ، كَانَ سَيَعْلَمُ أَنَّ سامي كَانَ يَقُولُ كَلَامًا لَئِيمًا وَمُغِيظًا، فَقَطْ لِيُغْضِبَهُ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا غَضِبَ أَكْثَرَ كُلَّمَا جَعَلَ هَذَا سامي مَسْرُورًا أَكْثَرَ. وَلَكِنْ مِثْلَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، سَمَحَ ريدي لِانْفِعَالِهِ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى حِسِّهِ السَّلِيمِ.

زَمْجَرَ ريدي: «مَنْ قَالَ إِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة غَبِيَّةٌ؟»

أَجَابَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي بِسُرْعَةٍ: «أَنَا! أَنَا أَقُولُ إِنَّهَا غَبِيَّةٌ.»

قَالَ ريدي مُتَبَاهِيًا، وَكَانَ حَقًّا وَاثِقًا مِنْ هَذَا: «هِيَ أَذْكَى مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ كُلِّهَا وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِأَكْمَلِهَا. هِيَ أَذْكَى مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ كُلِّهِ.»

رَدَّ سامي بِسُخْرِيَةٍ: «هِيَ لَيْسَتْ عَلَى الْقَدْرِ الْكَافِي مِنَ الذَّكَاءِ لِتَخْدَعَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون.»

نَسِيَ ريدي غَضَبَهُ فِي خَوْفٍ عَظِيمٍ مُفَاجِئٍ، وَقَالَ: «مَا هَذَا؟ مَنْ يَقُولُ هَكَذَا؟ هَلْ حَدَثَ شَيْءٌ لِلْجَدَّةِ ثعلبة؟» أَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدِ اصْطَادَ الْجَدَّةَ؟

أَجَابَ سامي: «لَا شَيْءَ، فَقَطْ أَمْسَكَ بِهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَهِيَ غَافِيَةٌ فِي وَضَحِ النَّهَارِ.» ثُمَّ ضَحِكَ، حَتَّى إِنَّ ريدي سَمِعَهُ.

رَدَّ ريدي بِسُرْعَةٍ: «لَا أُصَدِّقُ! لَا أُصَدِّقُ كَلِمَةً مِنْ هَذَا! لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْسِكَ بِالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ غَافِيَةً، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ.»

رَدَّ سامي: «أَنَا لَا أَكْتَرِثُ إِنْ كُنْتَ تُصَدِّقُ أَمْ لَا، هَذَا مَا حَدَثَ؛ وَقَدْ رَأَيْتُهُ.»

بَدَأَ ريدي بِالْكَلَامِ: «أَنْتَ ... أَنْتَ ... أَنْتَ ...»

قَاطَعَهُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي: «اذْهَبْ وَاسْأَلْ طَائِرَ الْقَرْقَفِ تومي إِنْ كَانَ هَذَا غَيْرَ صَحِيحٍ. لَقَدْ رَآهُ هُوَ أَيْضًا.»

تَدَخَّلَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي بِنَفْسِهِ وَصَاحَ: «هَذَا صَحِيحٌ! وَرَمَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون كُرَةً ثَلْجِيَّةً عَلَيْهَا فَقَطْ، وَسَمَحَ لَهَا أَنْ تَهْرُبَ دُونَ أَنْ يُطْلِقَ الرَّصَاصَ عَلَيْهَا.»

لَمْ يَعْلَمْ ريدي فِيمَ يُفَكِّرُ أَوْ مَاذَا يَقُولُ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَدِّقَ فَحَسْبُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ عَنْ طَائِرِ الْقَرْقَفِ تومي الْكَذِبَ قَطُّ. إِذَا كَانَ سامي وَحْدَهُ لَمَا صَدَّقَ. ثُمَّ أَخْبَرَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي وَطَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي ريدي بِكُلِّ مَا رَأَيَاهُ؛ كَيْفَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون فَاجَأَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ ثُمَّ تَرَكَهَا تَذْهَبُ سَالِمَةً. اضْطُرَّ ريدي أَنْ يُصَدِّقَ. إِذَا قَالَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي هَذَا، فَلَا بُدَّ أَنَّ هَذَا مَا حَدَثَ. انْطَلَقَ الثَّعْلَبُ ريدي لِيَبْحَثَ عَنِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ وَيَسْأَلَهَا عَمَّا حَدَثَ. وَلَكِنَّ فِكْرَةً مُفَاجِئَةً جَالَتْ بِرَأْسِهِ الْأَحْمَرِ، وَغَيَّرَ رَأْيَهُ.

تَمْتَمَ ريدي بِابْتِسَامَةٍ مَاكِرَةٍ: «لَنْ أَذْكُرَ الْأَمْرَ إِلَى وَقْتٍ لَاحِقٍ، حِينَ تُوَبِّخُنِي الْجَدَّةُ لِكَوْنِي مُهْمِلًا، ثُمَّ سَأَنْتَظِرُ مَاذَا سَيَكُونُ رَدُّهَا. أَظُنُّ أَنَّهَا لَنْ تُوَبِّخَنِي كَثِيرًا بَعْدَ ذَلِكَ.»

ابْتَسَمَ ريدي أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ لَطِيفًا مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. بَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْعُرَ بِالْأَسَفِ نَحْوَ الْخَوْفِ الَّذِي اعْتَرَى الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ، كَانَ يُخَطِّطُ كَيْفَ يَنْتَقِمُ مِنْهَا حِينَ تُوَبِّخُهُ عَلَى لَا مُبَالَاتِهِ.

الفصل العاشر

الثَّعْلَبُ ريدي غَيْرُ مُهَذَّبٍ

امْتِلَاكُ لِسَانٍ بَذِيءٍ شَيْءٌ خَطِيرٌ،
يَوْمًا مَا سَيُوقِعُ بِكَ فِي أَمْرٍ عَوِيصٍ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

إِنَّ الثَّعْلَبَ ريدي عَنِيدٌ، وَمِثْلُ أَغْلَبِ النَّاسِ الْعَنِيدَةِ؛ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ طَرِيقَتَهُ هِيَ أَفْضَلُ طَرِيقَةٍ، فَقَطْ لِأَنَّهَا طَرِيقَتُهُ. إِنَّهُ ذَكِيٌّ، حَقًّا الثَّعْلَبُ ريدي ذَكِيٌّ. نَعَمْ، بِالْفِعْلِ، الثَّعْلَبُ ريدي فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَعِيشَ. وَلَكِنْ كَثِيرًا مِمَّا يَعْلَمُ قَدْ تَعَلَّمَهُ مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ. أَمْهَرُ الْخُدَعِ هِيَ مَنْ عَلَّمَتْهُ إِيَّاهَا. بَدَأَتْ فِي تَعْلِيمِهِ حِينَ كَانَ صَغِيرًا جِدًّا مُنْذُ أَنْ كَانَ يَتَعَثَّرُ فِي الْمَشْيِ. كَانَتْ هِيَ مَنْ عَلَّمَهُ الصَّيْدَ، وَأَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا يَسْرِقَ الدَّجَاجَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَإِنَّمَا يَذْهَبُ بَعِيدًا جِدًّا لِكَيْ يَصْطَادَ، وَكَيْفَ يَخْدَعُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر.

كَانَتِ الْجَدَّةُ هِيَ مَنْ عَلَّمَ ريدي كَيْفَ يَسْتَخْدِمُ أَنْفَهُ الْأَسْوَدَ الصَّغِيرَ فِي تَتَبُّعِ آثَارِ الْأَرَانِبِ الصَّغِيرَةِ الطَّائِشَةِ، وَكَيْفَ يَصْطَادُ فِئْرَانَ الْمَرْجِ تَحْتَ الثُّلُوجِ. فِي الْوَاقِعِ، قَلِيلٌ مِمَّا يَعْلَمُ ريدي الصَّغِيرُ لَمْ يَتَعَلَّمْهُ مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ الْحَكِيمَةِ الْمَاهِرَةِ.

وَلَكِنْ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَخَذَ ريدي يَكْبُرُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، حَتَّى أَصْبَحَ فِي حَجْمِ الْجَدَّةِ نَفْسِهَا، نَسِيَ مَا يَدِينُ لَهَا بِهِ. أَصْبَحَ يَمْتَلِكُ وُجْهَةَ نَظَرٍ خَاصَّةً بِهِ، وَيَشْعُرُ أَنَّهُ يَعْلَمُ تَمَامًا كُلَّ مَا يُوجَدُ مِنْ عِلْمٍ. لِذَا حِينَ كَانَ يَفْعَلُ شَيْئًا أَحْمَقَ أَوْ طَائِشًا، وَكَانَتِ الْجَدَّةُ تُوَبِّخُهُ

وَهِيَ تَقُولُ لَهُ إِنَّهُ كَبِيرٌ إِلَى حَدِّ أَنْ يَعْرِفَ الصَّوَابَ، كَانَ يَسْتَاءُ وَيَنْصَرِفُ مُتَذَمِّرًا فِي نَفْسِهِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ قَطُّ أَنْ يَكُونَ عَدِيمَ الِاحْتِرَامِ لِلْجَدَّةِ عَلَانِيَةً، وَهَذَا، بِالطَّبْعِ، مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ.

كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ: «لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُمْسِكَ بِالْجَدَّةِ وَهِيَ تَقُومُ بِشَيْءٍ أَحْمَقَ أَوْ طَائِشٍ.» وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، وَكَانَ قَدْ بَدَأَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَبَدًا. وَلَكِنِ الْآنَ وَأَخِيرًا كَانَتِ الْجَدَّةُ، الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الْمَاهِرَةُ، طَائِشَةً! لَقَدْ سَمَحَتْ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُمْسِكَ بِهَا وَهِيَ غَافِيَةٌ. تَمَنَّى ريدي لَوْ كَانَ هُنَاكَ لِيَرَى ذَلِكَ بِنَفْسِهِ. وَلَكِنْ عَلَى أَيِّ حَالٍ، لَقَدْ عَرَفَ بِالْأَمْرِ، وَاتَّخَذَ قَرَارَهُ أَنَّهُ فِي الْمَرَّةِ الْمُقْبِلَةِ الَّتِي تَقُولُ فِيهَا الْجَدَّةُ لَهُ لَفْظًا حَادًّا بِشَأْنِ إِهْمَالِهِ، سَيَكُونُ لَدَيْهِ مَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهَا. بِالْفِعْلِ، كَانَ ريدي يَنْتَوِي عَمْدًا أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ هَذَا دَائِمًا يُعَدُّ إِسَاءَةَ احْتِرَامٍ لِلْكَبِيرِ.

وَأَخِيرًا جَاءَتْهُ الْفُرْصَةُ؛ قَامَ ريدي بِشَيْءٍ لَنْ يَقُومَ بِهِ أَيُّ ثَعْلَبٍ حَكِيمٍ. ذَهَبَ لِلَيْلَتَيْنِ مُتَتَالِيَتَيْنِ إِلَى عُشَّةِ الدَّجَاجِ نَفْسِهَا، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَادَ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ الرَّصَاصُ. عَلِمَتِ الْجَدَّةُ بِمَا حَدَثَ. لَمْ يَعْرِفْ ريدي حَتَّى حِينِهَا كَيْفَ عَلِمَتِ الْجَدَّةُ، وَلَكِنَّهَا عَلِمَتْ، وَقَامَتْ بِتَوْبِيخِهِ تَوْبِيخًا نَادِرًا مَا قَامَتْ بِهِ مَعَهُ.

وَبَّخَتْهُ الْجَدَّةُ: «أَنْتَ أَحْمَقُ ثَعْلَبٍ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي.»

رَدَّ ريدي بِكُلِّ وَقَاحَةٍ: «لَسْتُ أَحْمَقَ مِنْكِ!»

سَأَلَتْهُ الْجَدَّةُ: «مَاذَا؟ مَاذَا قُلْتَ؟»

فَقَالَ وَهُوَ يَضْحَكُ بِوَقَاحَةٍ: «قُلْتُ إِنَّنِي لَسْتُ أَحْمَقَ مِنْكِ، وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، أَتَمَنَّى أَلَّا أَكُونَ فِي مِثْلِ حَمَاقَتِكِ. إِنَّنِي لَا آخُذُ قَيْلُولَةً فِي وَضَحِ النَّهَارِ تَحْتَ أَنْفِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مُبَاشَرَةً.»

رَفَّتْ عَيْنُ الْجَدَّةِ. ثُمَّ حَدَثَ أَمْرٌ؛ أَخَذَتِ الصَّفَعَاتُ تَنْهَالُ عَلَى ريدي هُنَا وَهُنَاكَ، حَتَّى بَدَا لَهُ وَكَأَنَّ الْهَوَاءَ قَدِ امْتَلَأَ بِمَخَالِبَ سَوْدَاءَ، كُلُّ مِخْلَبٍ يَضْرِبُ رَأْسَهُ أَوْ وَجْهَهُ مَعَ وَخْزَةٍ جَعَلَتْهُ يَئِنُّ وَيَضَعُ ذَيْلَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَأَخِيرًا عَوَى.

صَاحَتِ الْجَدَّةُ أَخِيرًا عِنْدَمَا كَانَ عَلَيْهَا أَنْ تَتَوَقَّفَ؛ لِأَنَّ نَفَسَهَا قَدِ انْقَطَعَ: «هَكَذَا! رُبَّمَا هَذَا يُعَلِّمُكَ أَنْ تَكُونَ مُحْتَرِمًا مَعَ الْكِبَارِ. لَقَدْ كُنْتُ مُهْمِلَةً وَحَمْقَاءَ، وَأَنَا عَلَى أَتَمِّ الِاسْتِعْدَادِ لِأُقِرَّ بِهَذَا؛ لِأَنَّهُ عَلَّمَنِي دَرْسًا. كَثِيرًا مَا تُكْتَسَبُ الْحِكْمَةُ مِنَ الْأَخْطَاءِ، وَلَكِنْ لَيْسَ

حِينَ لَا يَكُونُ الشَّخْصُ مُسْتَعِدًّا لِيَعْتَرِفَ بِأَخْطَائِهِ. لَا يَعِيشُ ثَعْلَبٌ طَوِيلًا إِذَا كَرَّرَ نَفْسَ الْخَطَأِ مَرَّتَيْنِ. وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَحْتَرِمُونَ كِبَارَهُمْ، لَا يَصِلُونَ إِلَى نِهَايَةٍ سَعِيدَةٍ. لَدَيَّ وَزَّةٌ سَمِينَةٌ عَلَى الْعَشَاءِ، لَكِنَّكَ لَنْ تَحْصُلَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِنْهَا.»

بَكَى ريدي فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يَزْحَفُ لِسَرِيرِهِ دُونَ عَشَاءٍ: «لَيْتَنِي لَمْ أَعْرِفْ شَيْئًا عَنْ خَطَأِ الْجَدَّةِ.»

هَمَسَ صَوْتٌ خَافِتٌ فِي دَاخِلِهِ: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تَتَمَنَّى لَوْ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ وَقِحًا.»

الفصل الحادي عشر

بَعْدَ الْعَاصِفَةِ

الْمَرَحُ وَنُورُ الشَّمْسِ اللَّذَانِ يَجْعَلَانِنَا فَرِحِينَ،
وَالْمَخَاوِفُ وَالْمَتَاعِبُ الَّتِي تَجْعَلُنَا عَبُوسِينَ،
كُلُّهَا تَنْتَهِي! فَلِمَ بَعْدُ نَشْتَكِي
مِنْ شَمْسٍ تَغِيبُ أَوْ مَطَرٍ يَنْهَمِرُ؟

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

أَهَمُّ شَيْءٍ هُوَ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ مَا دَامَتْ مَوْجُودَةً، وَعِنْدَمَا تُمْطِرُ السَّمَاءُ، انْتَظِرْ بَصِيصَ الشَّمْسِ مَرَّةً ثَانِيَةً، مُتَيَقِّنًا أَنَّهَا سَتَسْطَعُ حَتْمًا مِنْ جَدِيدٍ. حَجَزَتْ عَاصِفَةٌ رَهِيبَةٌ أَهْلَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ كَسُجَنَاءَ دَاخِلَ بُيُوتِهِمْ أَوْ فِي الْمَآوِي الَّتِي اسْتَطَاعُوا أَنْ يَجِدُوهَا. وَلَكِنَّهَا لَنْ تَسْتَمِرَّ إِلَى الْأَبَدِ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَمَعْرِفَةُ ذَلِكَ هِيَ مَا أَبْقَتْ بَعْضَهُمْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

لَقَدْ كَانُوا يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، كَانُوا يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا. لَكِنَّا أَنَا وَأَنْتَ فِي شِدَّةِ الْجُوعِ، حَقًّا فِي شِدَّةِ الْجُوعِ، إِذَا عِشْنَا يَوْمَيْنِ كَامِلَيْنِ مِنْ دُونِ طَعَامٍ، وَلَكِنْ إِنْ كُنَّا نَشْعُرُ بِالدِّفْءِ وَالْحَرَارَةِ فَلَنْ يُشَكِّلَ هَذَا لَنَا أَيَّ ضَرَرٍ. الْأَمْرُ يَخْتَلِفُ تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَصْدِقَائِنَا الْبَرِّيِّينَ الصِّغَارِ، وَخُصُوصًا الْقَوْمَ الصِّغَارَ الْمَكْسُوِّينَ بِالرِّيشِ؛ فَإِنَّهُمْ بِالطَّبِيعَةِ فِي غَايَةِ النَّشَاطِ؛ لِذَا يَحْتَاجُونَ أَنْ يَمْلَئُوا بُطُونَهُمْ كَثِيرًا حَتَّى يُمِدُّوا أَجْسَامَهُمُ الصَّغِيرَةَ بِالْحَرَارَةِ وَالطَّاقَةِ. وَمِنْ ثَمَّ حِينَ تَنْفَدُ إِمْدَادَاتُهُمُ الْغِذَائِيَّةُ تَمَامًا، يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا أَوْ

يَتَجَمَّدُونَ حَتَّى الْمَوْتِ فِي فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ جِدًّا. عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الصَّغِيرَةِ تَنْتَهِي حَيَاتُهَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي كُلِّ عَاصِفَةٍ شَتْوِيَّةٍ قَاسِيَةٍ طَوِيلَةٍ.

كَانَتْ نِهَايَةُ الظَّهِيرَةِ حِينَ قَرَّرَتِ الْأُخْتُ رِيَاحُ الشَّمَالِ الْقَاسِيَةُ أَنْ تَكْتَفِيَ مِنْ إِظْهَارِ قُوَّتِهَا وَضَرَاوَتِهَا، وَتُغَادِرَ الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ وَالْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ مُدَمْدِمَةً وَمُتَذَمِّرَةً، آخِذَةً مَعَهَا سُحُبَ الثَّلْجِ. ابْتَسَمَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ لِلْيَابِسَةِ الْبَيْضَاءِ، فَقَطْ لِبَعْضِ الْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ وَقْتُ عَوْدَتِهِ إِلَى فِرَاشِهِ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، وَكَانَتِ ابْتِسَامَتُهُ مُرَحِّبًا بِهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. أَسْرَعَ السُّجَنَاءُ الصِّغَارُ خَارِجَ مَأْوَاهُمْ؛ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَغِلُّوا الْوَقْتَ الْقَصِيرَ قَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ الْبَارِدِ.

كَانَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ الصَّغِيرُ تومي ضَعِيفًا جِدًّا، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الطَّيَرَانَ، وَكَانَ يَرْتَجِفُ فِي قُشَعْرِيرَةٍ. اتَّجَهَ مُبَاشَرَةً إِلَى شَجَرَةِ التُّفَّاحِ؛ حَيْثُ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَحْتَفِظُ دَائِمًا بِقِطْعَةٍ مِنَ الدُّهْنِ مَرْبُوطَةً بِغُصْنٍ مِنْ أَجْلِ تومي وَأَصْدِقَائِهِ. كَانَ نَقَّارُ الْخَشَبِ درامر قَدْ سَبَقَهُ إِلَى هُنَاكَ. هُنَا كَانَ مِنْ قَوَاعِدِ الْأَدَبِ فِيمَا بَيْنَ الْقَوْمِ الْمَكْسُوِّونَ بِالرِّيشِ أَنَّهُ حِينَ يَأْكُلُ أَحَدٌ، فَعَلَى مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ دَوْرَهُ.

قَالَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ وَلَكِنْ مَرِحٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَرِحٍ حَتَّى لَوْ حَاوَلَ: «يَبْدُو هَذَا شَهِيًّا لِي.»

تَمْتَمَ درامر، وَهُوَ يَقْضِمُ مِنَ الدُّهْنِ بِشَرَاهَةٍ: «إِنَّهُ شَهِيٌّ، هَيَّا أَيُّهَا الْقَرْقَفُ تومي، لَا تَنْتَظِرْنِي؛ لِأَنَّنِي لَنْ أَنْتَهِيَ مِنَ الْأَكْلِ قَبْلَ وَقْتٍ طَوِيلٍ. إِنَّنِي أَتَضَوَّرُ جُوعًا، وَأَظُنُّكَ هَكَذَا أَيْضًا.»

اعْتَرَفَ تومي وَهُوَ يُحَلِّقُ مُقْتَرِبًا مِنْ درامر: «حَقًّا! أَشْكُرُكَ كَثِيرًا؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْنِي أَنْتَظِرُ.»

أَجَابَ درامر، وَفَمُهُ مُمْتَلِئٌ: «لَا عَلَيْكَ. لَيْسَ هَذَا وَقْتًا لِلْأَدَبِ. هَا قَدْ أَتَى كَاسِرُ الْجَوْزِ يانك يانك. أَظُنُّ أَنَّهُ يُوجَدُ مَكَانٌ لَهُ هُوَ الْآخَرُ.»

دُعِيَ يانك يانك سَرِيعًا لِيَنْضَمَّ إِلَيْهِمَا، وَفَعَلَ هَكَذَا بَعْدَ أَنِ اعْتَذَرَ؛ لِأَنَّهُ بَدَا طَمَّاعًا، وَقَالَ: «إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَمْلَأَ مَعِدَتِي بِالطَّعَامِ قَبْلَ حُلُولِ اللَّيْلِ، فَحَتْمًا سَأَتَجَمَّدُ حَتَّى الْمَوْتِ قَبْلَ الصَّبَاحِ. يَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ أَنْ نَجِدَ كُلَّ هَذَا الطَّعَامِ الشَّهِيِّ فِي انْتِظَارِنَا! لَوْ

كُنْتُ ذَهَبْتُ لِصَيْدِ طَعَامِيَ الْمُعْتَادِ مِنْ عَلَى الشَّجَرِ، فَحَتْمًا كُنْتُ سَأَسْتَسْلِمُ وَأَمُوتُ. لَقَدِ اسْتَنْزَفْتُ كُلَّ قُوَّتِي حَتَّى آتِيَ إِلَى هُنَا. يَا إِلَهِي! أَشْعُرُ كَأَنَّنِي طَيْرٌ جَدِيدٌ بِالْفِعْلِ! هَا قَدْ أَتَى طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي. أَتَسَاءَلُ إِذَا كَانَ سَيُحَاوِلُ إِبْعَادَنَا كَمَا يَفْعَلُ دَائِمًا.»

لَمْ يَفْعَلْ سامي شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ. كَانَ فِي غَايَةِ الْوَدَاعَةِ وَالْأَدَبِ. سَأَلَهُمْ: «أَيُمْكِنُكُمْ أَنْ تُفْسِحُوا مَكَانًا لِرَفِيقٍ يَتَضَوَّرُ جُوعًا حَتَّى يَحْصُلَ عَلَى قَضْمَةٍ؟ لَمْ أَكُنْ لِأَسْأَلَ لَوْلَا أَنَّنِي لَنْ أَسْتَطِيعَ الصُّمُودَ لَيْلَةً أُخْرَى بِدُونِ طَعَامٍ.»

أَجَابَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي وَهُوَ يُفْسِحُ مَكَانًا لِسامي: «يُوجَدُ دَائِمًا مَكَانٌ لِرَفِيقٍ آخَرَ. أَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ عَاصِفَةً رَهِيبَةً؟»

تَمْتَمَ سامي قَائِلًا: «هَذَا أَسْوَأُ مَا عَرَفْتُ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ. أَتَسَاءَلُ إِذَا كُنْتُ سَأَشْعُرُ يَوْمًا بِالدِّفْءِ مُجَدَّدًا.»

لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ كَلِمَةً أُخْرَى حَتَّى امْتَلَأَتْ بُطُونُهُمْ. فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ اكْتَشَفَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار أَنَّ الْعَاصِفَةَ قَدِ انْتَهَتْ. وَحِينَ كَانَ يَتَقَدَّمُ مُتَعَثِّرًا بَيْنَ الثَّلْجِ نَحْوَ شَجَرَةِ تُفَّاحٍ أُخْرَى، رَأَى طَائِرَ الْقَرْقَفِ تومي وَأَصْدِقَاءَهُ، وَابْتَهَجَ قَلْبُهُ لِأَنَّهُمْ وَجَدُوا الطَّعَامَ بِانْتِظَارِهِمْ. وَانْتَهَتْ مَتَاعِبُهُ هُوَ؛ لِأَنَّ الشَّجَرَةَ الَّتِي كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَهَا كَانَتْ عَامِرَةً بِالذُّرَةِ.

الفصل الثاني عشر

الْجَدَّةُ وَريدي يُخْفِقَانِ فِي الصَّيْدِ

تُضْمِرُ لَنَا الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ الْخَيْرَ،
لَكِنَّنَا كَثِيرًا مَا لَا نَفْهَمُ هَذَا الْأَمْرَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

لَمْ يَكُنْ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي وَنَقَّارُ الْخَشَبِ درامر وَكَاسِرُ الْجَوْزِ يانك يانك وَطَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي وَالسِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار الْوَحِيدِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا حَالَمَا انْتَهَتِ الْعَاصِفَةُ. يَا إِلَهِي، لَا! حَقًّا لَا! كُلُّ مَنْ كَانَ نَائِمًا حَتَّى يَنْقَضِيَ الشِّتَاءُ، وَكُلُّ مَنْ لَمْ يَمْتَلِكْ خَزِينًا مِنَ الطَّعَامِ، خَرَجَ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ جَمِيعُهُمْ مَحْظُوظِينَ مِثْلَ طَائِرِ الْقَرْقَفِ تومي وَأَصْدِقَائِهِ فِي إِيجَادِ وَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ.

خَرَجَ الْأَرْنَبُ بيتر وَزَوْجَتُهُ مِنَ الْجُحْرِ فِي قَلْبِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ حَيْثُ اسْتَطَاعُوا الْبَقَاءَ فِي دِفْءٍ، وَلِلتَّوِّ بَدَآ يَمْلَآنِ بَطْنَيْهِمَا مِنْ لِحَاءِ الْأَشْجَارِ الصَّغِيرَةِ وَأَسَلَةِ الْأَغْصَانِ الرَّقِيقَةِ. كَانَ طَعَامًا رَدِيئًا جِدًّا، وَلَكِنَّهُ سَيَسُدُّ هَذَا الْإِحْسَاسَ بِالْجُوعِ. انْدَفَعَتِ السَّيِّدَةُ طيهوجة خَارِجَةً مِنْ بَيْنِ الثَّلْجِ، وَأَسْرَعَتْ لِلْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلَامُ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا الْوَقْتُ لِلتَّدْقِيقِ؛ لِذَا أَكَلَتْ بَرَاعِمَ شَجَرَةِ التَّنُّوبِ. كَانَتْ مُرَّةً جِدًّا، وَهَذَا لَمْ يُعْجِبْهَا، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ جَائِعَةً جِدًّا، وَكَانَ اللَّيْلُ وَشِيكًا؛ لِذَا لَمْ تَتَذَمَّرْ. كَانَتْ شَاكِرَةً عَلَى مَا لَدَيْهَا.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة وَريدي بِالْخَارِجِ أَيْضًا. لَمْ يَكُونَا فِي حَاجَةٍ لِلْإِسْرَاعِ؛ لِأَنَّهُمَا، كَمَا تَعْلَمُونَ، يَسْتَطِيعَانِ الصَّيْدَ طَوَالَ اللَّيْلِ، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا فِي غَايَةِ الْجُوعِ، حَتَّى إِنَّهُمَا اضْطُرَّا إِلَى أَنْ يَبْحَثَا عَنْ شَيْءٍ لِيَأْكُلَاهُ. وَبِالطَّبْعِ عَلِمَا أَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ بِالْخَارِجِ، وَأَمَلَا أَنْ

يَكُونَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ ضُعَفَاءَ جِدًّا حَتَّى يَسْهُلَ الْإِمْسَاكُ بِهِمْ. يَبْدُو هَذَا كَأَمْلٍ بَغِيضٍ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَلَكِنَّ إِحْدَى قَوَاعِدِ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ هِيَ الْحِفَاظُ عَلَى النَّفْسِ. وَهَذَا يَعْنِي أَنْ تَنْجُوَ بِنَفْسِكَ أَوَّلًا. لِذَا رُبَّمَا لَا نَعْتُبُ عَلَى الْجَدَّةِ وَريدي أَنَّهُمَا أَمَلَا أَنْ يُمْسِكَا بِأَحَدِ جِيرَانِهِمَا بِسُهُولَةٍ بِسَبَبِ الْعَاصِفَةِ الْكَبِيرَةِ. كَانَا حَقًّا جَائِعَيْنِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَأْكُلَا اللِّحَاءَ مِثْلَ الْأَرْنَبِ بيتر، أَوِ الْبَرَاعِمَ مِثْلَ السَّيِّدَةِ طيهوجة، أَوِ الْبُذُورَ مِثْلَ فَأْرِ الْخَشَبِ ذِي الْقَدَمِ الْبَيْضَاءِ. لَمْ تَكُنْ أَسْنَانُهُمَا وَبَطْنَاهُمَا مُهَيَّأَةً لِمِثْلِ هَذَا الطَّعَامِ.

كَانَ الْمَشْيُ صَعْبًا عَلَى الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي. كَانَ الثَّلْجُ نَاعِمًا وَعَمِيقًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ، وَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَبْقَيَا بِالْقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ؛ حَيْثُ عَصَفَتِ الرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ الْبَارِدَةُ بِكَثِيرٍ مِنَ الثَّلْجِ، حَتَّى أَصْبَحَ السَّيْرُ أَمْرًا سَهْلًا نَوْعًا مَا. وَسُرْعَانَ مَا اكْتَشَفَا أَنَّ أَمَلَهُمَا فِي إِيجَادِ بَعْضِ الْفَرَائِسِ مِنْ جِيرَانِهِمَا الْأَضْعَفِ مِنْ أَنْ تَهْرُبَ؛ كَانَ بِلَا طَائِلٍ. حِينَ انْسَدَلَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ الْأَحْمَرُ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ لِيَعُودَ إِلَى فِرَاشِهِ، كَانَ بَطْنَاهُمَا فَارِغَيْنِ تَمَامًا كَمَا بَدَآ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ وَهِيَ تَقُودُ الطَّرِيقَ: «سَنَنْزِلُ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّنَا سَنَجْنِي شَيْئًا، وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْزِمَ إِلَّا إِذَا جَرَّبْتَ. قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِ الْأَرْنَبِ بيتر أَنْ يَخْرُجَ مِنْ جُحْرِهِ.»

حِينَ وَصَلَا إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ لَمْ يَجِدَا بيتر بِالْخَارِجِ. فِي الْوَاقِعِ، حِينَ حَدَّقَا النَّظَرَ بَيْنَ الْعُلَّيْقِ وَالشُّجَيْرَاتِ، اسْتَطَاعَا أَنْ يَرَيَا هَيْئَتَهُ الْبُنِّيَّةَ الصَّغِيرَةَ تَتَمَايَلُ وَهُوَ يَلْتَقِطُ اللِّحَاءَ الرَّقِيقَ. لَقَدْ قَامَ بِتَمْهِيدِ مَمَرَّاتٍ صَغِيرَةٍ لِيَقْفِزَ بِسُهُولَةٍ. رَآهُمَا بيتر بِنَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي رَأَيَاهُ فِيهِ تَقْرِيبًا.

قَالَ بيتر بِسُرُورٍ: «يَا لَهَا مِنْ أَوْقَاتٍ عَصِيبَةٍ! آمُلُ أَلَّا تَكُونَ مَعِدَتَاكُمَا فَارِغَتَيْنِ مِثْلَ مَعِدَتِي.» انْتَزَعَ لِحَاءً مِنْ شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ وَبَدَأَ يَمْضُغُهُ. كَانَ هَذَا أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ ريدي. كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى بيتر يَأْكُلُ بَيْنَمَا كَانَتْ مَعِدَتُهُ تَتَأَلَّمُ بِشِدَّةٍ لِأَنَّهَا فَارِغَةٌ.

زَمْجَرَ ريدي: «سَأَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ وَأُمْسِكُ بِهِ، أَوْ أَقْتَادُهُ إِلَى هُنَا حَيْثُ تَسْتَطِيعِينَ الْإِمْسَاكَ بِهِ، حَتَّى وَإِنْ تَمَزَّقَ مِعْطَفِي إِلَى أَشْلَاءٍ.»

تَوَقَّفَ بيتر عَنِ الْمَضْغِ وَانْتَصَبَ، وَقَالَ: «تَعَالَ إِلَى هُنَا يَا ريدي. تَعَالَ إِلَى هُنَا إِنْ أَرَدْتَ، وَلَكِنِّي أَنْصَحُكَ أَنْ تَنْجُوَ بِجِلْدِكَ وَمِعْطَفِكَ.»

كَانَتِ الزَّمْجَرَةُ هِيَ رَدَّ ريدي الْوَحِيدَ وَهُوَ مُنْدَفِعٌ فِي طَرِيقِهِ تَحْتَ الْعَلِيقِ. أَخَذَ يَعْوِي بَيْنَمَا مَزَّقَتْ نَبَاتَاتُ الْعَلِيقِ مِعْطَفَهُ وَخَدَشَتْ وَجْهَهُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي التَّقَدُّمِ. كَانَتْ مَمَرَّاتُ بيتر مَصْنُوعَةً بِبَرَاعَةٍ. كَانَ قَدْ شَقَّهَا بَيْنَ أَكْثَرِ الْأَشْوَاكِ كَثَافَةً، بِحَيْثُ لَا تَسَعُ سِوَاهُ هُوَ وَزَوْجَتِهِ كَيْ يَقْفِزَا مِنْ خِلَالِهَا بِسَلَاسَةٍ. وَلَكِنَّ ريدي أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ؛ لِذَا اضْطُرَّ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ، وَأَنْ يَزْحَفَ عَلَى بَطْنِهِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ، وَكَانَ هَذَا عَمَلًا بَطِيئًا، إِضَافَةً إِلَى الْخُدُوشِ الْمُؤْلِمَةِ بِسَبَبِ الْأَشْوَاكِ. لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ عَلَى بيتر أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ طَرِيقِهِ، وَسُرْعَانَ مَا اسْتَسْلَمَ ريدي. قَادَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الطَّرِيقَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ دُونَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَا يَعْتَزِمَانِ إِيجَادَ مَكَانِ نَوْمِ السَّيِّدَةِ طيهوجة تَحْتَ الثَّلْجِ. وَلَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمَا قَامَا بِمُطَارَدَتِهَا طَوَالَ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُمَا فَشِلَا فِي إِيجَادِهَا؛ لِأَنَّهَا ذَهَبَتْ بِذَكَاءٍ لِتَنَامَ فِي شَجَرَةِ التَّنُّوبِ.

الفصل الثالث عشر

الْجَدَّةُ ثعلبة تَعْتَرِفُ بِتَقَدُّمِهَا فِي الْعُمُرِ

مَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ يَكْبُرُ كُلَّ يَوْمٍ لَا يَخْدَعُ إِلَّا نَفْسَهُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

إِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ سَيِّدَةٌ كَبِيرَةٌ رَشِيقَةٌ رَغْمَ سِنِّهَا. إِنْ كُنْتَ لَا تُصَدِّقُ، حَاوِلِ الْإِمْسَاكَ بِهَا. وَلَكِنْ بِكُلِّ رَشَاقَتِهَا هَذِهِ فَهِيَ لَمْ تَعُدْ بِمِثْلِ رَشَاقَتِهَا فِي الْمَاضِي. لَا يَا عَزِيزِي، لَمْ تَعُدِ الْجَدَّةُ ثعلبة بِنَفْسِ رَشَاقَتِهَا كَمَا كَانَتْ. فِي الْحَقِيقَةِ، الْجَدَّةُ تَتَقَدَّمُ فِي الْعُمُرِ. مَا كَانَتْ لِتَعْتَرِفَ بِذَلِكَ، وَلَا كَانَ ريدي لِيُلَاحِظَ ذَلِكَ قَبْلَ هُبُوبِ الْعَاصِفَةِ الْكَبِيرَةِ. حَاوَلَا الِاصْطِيَادَ طَوَالَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سُدًى، وَبِحُلُولِ النَّهَارِ تَسَلَّلَا إِلَى الْمَنْزِلِ لِيَرْتَاحَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ يَبْدَآ فِي رِحْلَةِ صَيْدٍ أُخْرَى. لَمْ تَعُدْ لَدَيْهِمَا قُوَّةٌ وَلَا شَجَاعَةٌ كَيْ يَبْحَثَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. إِنَّ اجْتِيَازَ الثَّلْجِ عَمَلٌ شَاقٌّ جِدًّا، وَمُتْعِبٌ فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ، وَلَكِنْ حِينَ تَكُونُ مَعِدَتُكَ فَارِغَةً لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، حَتَّى إِنَّكَ بَدَأْتَ تَتَسَاءَلُ كَيْفَ كَانَ طَعْمُ الْأَكْلِ، يَكُونُ ذَلِكَ شَأْنًا أَشَقَّ. فَإِنَّ الطَّعَامَ هُوَ مَا يُعْطِي الْقُوَّةَ، وَقِلَّةَ الطَّعَامِ تَسْلُبُ الْقُوَّةَ.

هَكَذَا اضْطُرَّتِ الْجَدَّةُ وَريدي أَنْ يَرْتَاحَا. بِالرَّغْمِ مِنْ جُوعِهِمَا، اضْطُرَّا لِلِاسْتِسْلَامِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ. طَرَحَ ريدي نَفْسَهُ أَرْضًا، وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ ثَعْلَبٌ صَغِيرٌ مُثَبَّطُ الْعَزِيمَةِ عَلَى الدَّوَامِ فَإِنَّهُ ريدي. نَوَّحَ قَائِلًا: «أَتَمَنَّى لَوْ كُنْتُ مَيْتًا.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة بِحِدَّةٍ: «لَا، لَا، لَا! هَذَا لَيْسَ أُسْلُوبَ ثَعْلَبٍ شَابٍّ فِي الْحَدِيثِ. إِنَّنِي خَجْلَانَةٌ مِنْكَ. إِنَّنِي خَجْلَانَةٌ حَقًّا.» ثُمَّ أَكْمَلَتْ بِرِفْقٍ: «إِنَّنِي أَعْلَمُ تَمَامًا كَيْفَ تَشْعُرُ. فَقَطْ

حَاوِلْ أَنْ تَنْسَى مَعِدَتَكَ الْفَارِغَةَ وَتَرْتَاحَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ. لَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْنَا لَيْلَةٌ مُتْعِبَةٌ مُخَيِّبَةٌ لِلْآمَالِ مُثَبِّطَةٌ لِلْعَزِيمَةِ، وَلَكِنْ حِينَ تَرْتَاحُ لَنْ تَبْدُوَ الْأُمُورُ بِهَذَا السُّوءِ. تَعْرِفُ الْقَوْلَ الْقَدِيمَ:

لَا يُوجَدُ طَرِيقٌ طَوِيلٌ جِدًّا إِلَّا وَبِانْعِطَافٍ يَنْتَهِي،
وَلَا تُوجَدُ سُحُبٌ تَجْتَمِعُ بِسُرْعَةٍ إِلَّا وَبِسُرْعَةٍ تَخْتَفِي.

تَظُنُّ أَنَّكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَشْعُرَ بِأَسْوَأَ مِمَّا تَشْعُرُ الْآنَ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ هَذَا. فِي أَوْقَاتٍ كَثِيرَةٍ اضْطُرِرْتُ لِلْبَقَاءِ دُونَ طَعَامٍ لِفَتَرَاتٍ أَطْوَلَ مِنْ هَذِهِ. بَعْدَ أَنْ نَسْتَرِيحَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، سَنَمْضِي إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. رُبَّمَا نَجِدُ حَظًّا أَفْضَلَ مِنْ هَذَا.»

لِذَا حَاوَلَ ريدي أَنْ يَنْسَى فَرَاغَ مَعِدَتِهِ، وَبِالْفِعْلِ غفَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتْعَبًا جِدًّا جِدًّا. عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ شَعَرَ بِتَحَسُّنٍ.

قَالَ ريدي: «حَسَنًا يَا جَدَّتِي، هَيَّا بِنَا نَنْطَلِقُ إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. إِنَّ الثَّلْجَ قَدْ تَجَمَّدَ، وَلَنْ يَكُونَ مِنَ الصَّعْبِ الْمَشْيُ مِثْلَ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ.»

نَهَضَتِ الْجَدَّةُ وَتَبِعَتْ ريدي إِلَى عَتَبَةِ الْبَابِ. مَشَتْ بِتَصَلُّبٍ. فِي الْحَقِيقَةِ لَقَدْ تَأَلَّمَتْ جَمِيعُ عِظَامِهَا الْعَجُوزِ. عَلَى الْأَقَلِّ هَذَا مَا بَدَا لَهَا. نَظَرَتْ نَحْوَ الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. بَدَتْ بَعِيدَةً جِدًّا. تَنَهَّدَتْ بِإِرْهَاقٍ، وَقَالَتْ: «لَا أَظُنُّنِي سَأَذْهَبُ يَا ريدي. ارْكُضْ أَنْتَ وَلْيُحَالِفْكَ الْحَظُّ!»

الْتَفَتَ ريدي وَحَدَّقَ بِالْجَدَّةِ بِارْتِيَابٍ؛ فَطَبِيعَةُ ريدي شَكَّاكَةٌ جِدًّا. هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ الْجَدَّةُ تُخْفِي خُطَّةً سِرِّيَّةً لِنَفْسِهَا كَيْ تَحْصُلَ عَلَى وَجْبَةٍ وَأَرَادَتِ التَّخَلُّصَ مِنْهُ؟

سَأَلَهَا بِفَظَاظَةٍ: «مَاذَا دَهَاكِ؟ أَنْتِ مَنْ عَرَضَ فِكْرَةَ الذَّهَابِ إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ.»

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ. كَانَتِ ابْتِسَامَةً حَزِينَةً نَوْعًا مَا. إِنَّهَا فَطِنَةٌ وَحَادَّةُ الذَّكَاءِ، وَعَلِمَتْ جَيِّدًا مَا كَانَ يَدُورُ بِبَالِ ريدي كَمَا لَوْ أَفْصَحَ عَنْهُ لَهَا.

قَالَتِ: «الْعِظَامُ الْعَجُوزُ لَا تَسْتَرِيحُ وَتَتَعَافَى بِنَفْسِ سُرْعَةِ الْعِظَامِ الشَّابَّةِ، وَلَا أَشْعُرُ أَنَّنِي قَادِرَةٌ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ الْآنَ. الْحَقِيقَةُ يَا ريدي هِيَ أَنَّنِي أَتَقَدَّمُ فِي الْعُمُرِ. سَأَظَلُّ هُنَا وَأَسْتَرِيحُ. رُبَّمَا بَعْدَهَا أَشْعُرُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الذَّهَابِ لِلصَّيْدِ اللَّيْلَةَ. أَسْرِعْ أَنْتَ الْآنَ، وَإِذَا وَجَدْتَ مَا يَسُدُّ أَكْثَرَ مِنَ احْتِيَاجِكَ، فَتَذَكَّرِ الْجَدَّةَ الْعَجُوزَ وَأْتِهَا بِلُقْمَةٍ.»

كَانَ هُنَاكَ أَمْرٌ مَا فِي طَرِيقَةِ كَلَامِ الْجَدَّةِ جَعَلَتْ ريدي يُصَدِّقُهَا. كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَعْتَرِفُ فِيهَا أَنَّهَا تَتَقَدَّمُ فِي الْعُمُرِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَعُدْ عَلَى قَدَمِ الْمُسَاوَاةِ مَعَ أَيِّ ثَعْلَبٍ. لَمْ يُلَاحِظْ قَطُّ مِنْ قَبْلُ كَمْ أَصْبَحَتْ شَيْبَاءَ. شَعَرَ ريدي بِالْخَجَلِ يَتَسَلَّلُ إِلَيْهِ وَيَعْتَرِيهِ، خَجِلَ لِأَنَّهُ شَكَّ أَنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ تَقُومُ بِإِحْدَى حِيَلِهَا الْمَاكِرَةِ. وَهَذَا الشُّعُورُ الْبَسِيطُ بِالْخَجَلِ تَبِعَتْهُ عَلَى الْفَوْرِ فِكْرَةٌ جَلِيلَةٌ؛ سَيَخْرُجُ وَيَجِدُ طَعَامًا وَيَعُودُ بِهِ عَلَى الْفَوْرِ لِلْجَدَّةِ. لَقَدْ كَانَتِ الْجَدَّةُ تَرْعَاهُ عِنْدَمَا كَانَ صَغِيرًا، وَالْآنَ سَيُوَفِّي بِدَيْنِهِ لِلْجَدَّةِ جَزَاءَ كُلِّ مَا فَعَلَتْهُ مِنْ أَجْلِهِ بِأَنْ يَرْعَاهَا فِي كِبَرِ سِنِّهَا.

قَالَ لَهَا بِلُطْفٍ: «عُودِي إِلَى الْمَنْزِلِ وَاسْتَلْقِي فِي الْفِرَاشِ. سَوْفَ أُحْضِرُ شَيْئًا، وَأَيًّا مَا كَانَ فَسَتَحْصُلِينَ عَلَى نَصِيبِكِ.» وَبِهَذَا أَسْرَعَ نَحْوَ الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ، وَبِطَرِيقَةٍ مَا لَمْ يَشْعُرْ بِالْأَلَمِ فِي مَعِدَتِهِ مِثْلَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ.

الفصل الرابع عشر

ثَلَاثُ أُمْنِيَّاتٍ سَخِيفَةٍ

لَا يُوجَدُ أَسْخَفُ وَأَحْمَقُ،
مِنْ أَنْ تَتَمَنَّى شَيْئًا لَنْ يَتَحَقَّقَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

كُلُّنَا نَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْبَعْضَ مِنَّا عَلَى قَدْرٍ مِنَ الْغَبَاءِ أَنْ يَتَمَنَّوْا تِلْكَ الْأُمْنِيَّةَ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ. أَظُنُّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمُوهَا مِنْ قَبْلُ. أَعْرِفُ أَنَّنِي فَعَلْتُهَا. كَثِيرًا مَا فَعَلَهَا الْأَرْنَبُ بيتر وَضَحِكَ عَلَى نَفْسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ. أَشُكُّ أَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ الْمَاهِرَةَ الذَّكِيَّةَ نَفْسَهَا قَدْ فَعَلَتْهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. لِذَا لَيْسَ مِنَ الْمُفَاجِئِ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي، وَهُوَ جَائِعٌ بِشِدَّةٍ هَكَذَا، يَتَمَنَّى أُمْنِيَّةً سَخِيفَةً صَغِيرَةً.

عِنْدَمَا تَرَكَ الْمَنْزِلَ لِيَذْهَبَ لِلْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ، عَلَى أَمَلِ أَنْ يَجِدَ هُنَاكَ شَيْئًا لِلْأَكْلِ، بَدَأَ رِحْلَتَهُ بِإِقْدَامٍ. كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا، بَارِدًا جِدًّا، وَلَكِنَّ مِعْطَفَهُ الْمَصْنُوعَ مِنَ الْفَرْوِ أَبْقَاهُ دَافِئًا مَا دَامَ يَتَحَرَّكُ. كَانَتِ الْمُرُوجُ الْخَضْرَاءُ بَيْضَاءَ لَامِعَةً بِالثَّلْجِ. كُلُّ الْعَالَمِ — عَلَى الْأَقَلِّ الْجُزْءُ مِنْهُ الَّذِي يَعْرِفُهُ ريدي — كَانَ أَبْيَضَ. كَانَ جَمِيلًا، جَمِيلًا جِدًّا؛ حَيْثُ مَلَايِينُ الْوَمَضَاتِ كَانَتْ تَتَلَأْلَأُ تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ. لَمْ يُفَكِّرْ ريدي فِي الْجَمَالِ؛ الْفِكْرَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي كَانَتْ بِبَالِهِ هِيَ أَنْ يَجِدَ شَيْئًا يَضَعُهُ فِي بَطْنِهِ هُوَ وَالْجَدَّةُ ثعلبة.

كَانَ الصَّقِيعُ قَدْ جَعَلَ الثَّلْجَ مُتَصَلِّبًا حَتَّى يَجْتَازَهُ ريدي بِسُهُولَةٍ. يَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ دُونَ أَنْ يَغْرِزَ فِيهَا. هَذَا سَهَّلَ الْأَمْرَ؛ لِذَا هَرْوَلَ مُسْرِعًا. كَانَ قَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يَذْهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ، وَلَكِنْ جَالَتْ بِخَاطِرِهِ ذِكْرَى عَنْ مَأْوًى

بِالْأَسْفَلِ فِي زَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ مِنَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ الَّذِي بَنَاهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِبوب الْأَبْيَضِ. عَلَى الْأَرْجَحِ أَنَّ أُسْرَةَ بوب الْأَبْيَضِ هُنَاكَ الْآنَ، وَهُوَ قَدْ يُفَاجِئُهُمْ. أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ أَوَّلًا.

تَوَقَّفَ ريدي وَنَظَرَ بِتَمَعُّنٍ لِيَتَأَكَّدَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَكَلْبَ الصَّيْدِ باوزر لَيْسَا عَلَى مَرْمَى الْبَصَرِ. ثُمَّ جَرَى بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. وَبِمُجَرَّدِ دُخُولِهِ إِلَيْهِ سَمِعَ صَوْتَ فَرَحٍ يُقَرْقِرُ فَوْقَ رَأْسِهِ مُبَاشَرَةً.

تَوَقَّفَ ريدي وَنَظَرَ إِلَى أَعْلَى. هُنَالِكَ كَانَ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي مُتَشَبِّثًا بِشِدَّةٍ بِقِطْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدُّهْنِ مَرْبُوطَةٍ بِإِحْكَامٍ بِفَرْعِ شَجَرَةٍ وَيَلْتَهِمُ مِنْهَا. جَلَسَ ريدي أَسْفَلَ الدُّهْنِ مُبَاشَرَةً وَنَظَرَ إِلَى أَعْلَى بِشَوْقٍ. هَذَا الْمَنْظَرُ جَعَلَ لُعَابَهُ يَسِيلُ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُ. قَفَزَ مَرَّةً، قَفَزَ مَرَّتَيْنِ، قَفَزَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنَّ كُلَّ قَفْزِهِ كَانَ هَبَاءً. هَذَا الدُّهْنُ كَانَ أَبْعَدَ مِنْ مُتَنَاوَلِ يَدِهِ. لَمْ تُوجَدْ أَيُّ طَرِيقَةٍ مُمْكِنَةٍ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ سِوَى الطَّيَرَانِ أَوِ التَّسَلُّقِ. تَدَلَّى لِسَانُ ريدي مِنْ فَمِهِ بِاشْتِهَاءٍ.

قَالَ ريدي: «لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ التَّسَلُّقَ!»

لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّسَلُّقَ، وَلَنْ تُفِيدَهُ كُلُّ أُمْنِيَّاتِ الْعَالَمِ، وَكَانَ يَعْلَمُ هَذَا تَمَامًا؛ لِذَا بَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَ الْمُغَادَرَةَ. حِينَ اقْتَرَبَ مِنَ الزَّاوِيَةِ الْبَعِيدَةِ مِنَ الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ، رَأَى بوب الْأَبْيَضَ وَزَوْجَتَهُ وَكُلَّ صِغَارِهِ يَلْتَقِطُونَ الْحُبُوبَ الَّتِي نَثَرَهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِنْ أَجْلِهِمْ أَمَامَ الْمَأْوَى الَّذِي بَنَاهُ لَهُمْ. انْحَنَى ريدي وَتَسَلَّلَ لِلْأَمَامِ، شِبْرًا فَشِبْرًا، وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ مِنَ اللَّهْفَةِ. وَحِينَ كَانَ عَلَى بُعْدِ قَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ تَقْرِيبًا، أَعْطَى بوب الْأَبْيَضُ إِشَارَةً، وَطَارَتْ كُلُّ أُسْرَتِهِ إِلَى شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ الْآمِنَةِ عَلَى حَافَةِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

تَدَفَّقَتْ دُمُوعُ الْغَضَبِ وَخَيْبَةِ الْأَمَلِ مِنْ عَيْنَيْ ريدي. تَمْتَمَ وَهُوَ يُشَاهِدُ الْعَصَافِيرَ الْبُنِّيَّةَ تَخْتَفِي فِي شَجَرَةِ الشَّوْكَرَانِ الْكَبِيرَةِ: «لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ!»

كَانَتْ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ عَلَى نَفْسِ قَدْرِ حَمَاقَةِ الْأُمْنِيَّةِ الْأُخْرَى؛ لِذَا انْصَرَفَ ريدي وَقَرَّرَ أَنْ يَمُرَّ بِالْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. عِنْدَمَا وَصَلَ هُنَاكَ وَجَدَهَا مُتَجَمِّدَةً كَمَا تَوَقَّعَ. وَلَكِنْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَلْتَقِي فِيهِ مَعَ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ كَانَتْ تُوجَدُ بُقْعَةٌ صَغِيرَةٌ بِهَا مِيَاهٌ مَفْتُوحَةٌ. كَانَ

يَقِفُ عَلَى حَافَةِ الْجَلِيدِ الْمِنْكُ بيلي، وَغَطَسَ حِينَ وَصَلَ ريدي إِلَى هُنَاكَ. ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَاءِ بَعْدَهَا بِدَقِيقَةٍ وَبِفَمِهِ سَمَكَةٌ.

تَوَسَّلَ إِلَيْهِ ريدي: «أَعْطِنِي قَضْمَةً.»

رَدَّ عَلَيْهِ بيلي الْمِنْكُ قَائِلًا: «اصْطَدْ سَمَكَةً لِنَفْسِكَ. إِنَّنِي أَعْمَلُ بِجِدٍّ مِنْ أَجْلِ مَا أَحْصُلُ عَلَيْهِ.»

خَافَ ريدي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْجَلِيدِ حَيْثُ كَانَ بيلي، لِذَلِكَ جَلَسَ وَشَاهَدَهُ وَهُوَ يَأْكُلُ تِلْكَ السَّمَكَةَ الشَّهِيَّةَ. ثُمَّ غَطَسَ بيلي فِي الْمِيَاهِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَاخْتَفَى. انْتَظَرَ ريدي لِوَقْتٍ طَوِيلٍ، وَلَكِنَّ بيلي لَمْ يَعُدْ. قَالَ ريدي وَهُوَ يُفَكِّرُ فِي السَّمَكَةِ الشَّهِيَّةِ تَحْتَ الْجَلِيدِ: «لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ الْغَطْسَ!»

وَهَذِهِ الْأُمْنِيَّةُ كَانَتْ عَلَى نَفْسِ قَدْرِ حَمَاقَةِ الْأُمْنِيَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ.

الفصل الخامس عشر

ريدي يَخُوضُ مَعْرَكَةً

لَيْسَ الْأَعْدَاءُ الَّذِينَ هُمْ بِالْخَارِجِ، بَلِ الَّذِينَ هُمْ بِالدَّاخِلِ،
مَنْ يَخُوضُونَ مَعَنَا أَصْعَبَ الْمَعَارِكِ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

بَعْدَ الْأُمْنِيَّاتِ الْحَمْقَاوَاتِ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةِ، غَادَرَ ريدي الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ وَاتَّجَهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ بَدَأَ رِحْلَتَهُ مِنْ أَجْلِهَا. تَمَنَّى حِينَهَا لَوْ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَيْهَا مُبَاشَرَةً مِنَ الْبِدَايَةِ؛ فَمَا كَانَ لِيَرَى الدُّهُونَ مَرْبُوطَةً بِفَرْعِ شَجَرَةٍ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ يَدِهِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، ومَا كَانَ لِيَرَى أُسْرَةَ بوب الْأَبْيَضِ وَهِيَ تَطِيرُ بَعِيدًا إِلَى مَأْمَنٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنَ الْإِمْسَاكِ بِأَحَدِهَا، ومَا كَانَ لِيَرَى بيلي الْمِنْكَ وَهُوَ يَأْتِي بِسَمَكَةٍ شَهِيَّةٍ مِنَ الْمَاءِ وَيَأْكُلُهَا أَمَامَ عَيْنَيْهِ. مِنَ السَّيِّئِ أَنْ تَكُونَ جَائِعًا وَأَنْتَ لَا تَرَى الطَّعَامَ أَمَامَكَ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ جَائِعًا مِثْلَ ريدي وَتَرَى الطَّعَامَ بَعِيدًا عَنْ مُتَنَاوَلِ يَدِكَ، وَتَشْتَمَّ رَائِحَتَهُ وَلَا تَقْدِرَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا أَكْثَرُ مِمَّا قَدْ يَتَحَمَّلُهُ الْغَالِبِيَّةُ بِصَبْرٍ.

لِذَلِكَ، تَذَمَّرَ ريدي فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يُسْرِعُ إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ وَقَلْبُهُ فِي مَرَارَةٍ شَدِيدَةٍ. بَدَا لَهُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ضِدَّهُ. امْتَلَكَ جِيرَانُهُ الطَّعَامَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمْتَلِكْ طَعَامًا قَطُّ، وَلَا حَتَّى الْفُتَاتَ. هَذَا لَيْسَ عَدْلًا. كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ غَيْرَ عَادِلَةٍ. إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ التَّسَلُّقَ كَانَ سَيَأْتِي بِطَعَامٍ. إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ كَانَ سَيَأْتِي بِطَعَامٍ. إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ الْغَطْسَ كَانَ سَيَأْتِي بِطَعَامٍ. لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّسَلُّقَ وَلَا الطَّيَرَانَ وَلَا الْغَطْسَ. لَمْ يَتَوَقَّفْ

حَتَّى يَتَفَكَّرَ فِي أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ قَدْ أَعْطَتْهُ بَعْضَ أَكْثَرِ الْمَوَاهِبِ ذَكَاءً فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ كُلِّهَا، أَوْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ كُلِّهَا، وَأَنَّهَا أَعْطَتْهُ أَنْفًا عَجِيبًا، وَأَنَّهَا أَعْطَتْهُ أَكْثَرَ الْآذَانِ إِرْهَافًا، وَأَنَّهَا أَعْطَتْهُ سُرْعَةً لَا يَفُوقُهَا إِلَّا قَلِيلُونَ. وَلَكِنَّهُ نَسِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ، وَانْشَغَلَ كَثِيرًا وَهُوَ يُفَكِّرُ بِمَرَارَةٍ فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يَمْتَلِكْهَا، حَتَّى إِنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ مَوَاهِبَهُ وَأَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. كَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّهُ مَرَّ بِجَانِبِ الْأَرْنَبِ الرَّمَادِيِّ الْكَبِيرِ جيد ثامبر الْعَجُوزِ، الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ وَرَاءَ الشُّجَيْرَةِ الصَّغِيرَةِ حَابِسًا أَنْفَاسَهُ. فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا جيد الْعَجُوزُ ريدي يَمُرُّ بِسَلَامٍ، انْطَلَقَ نَحْوَ قَلْعَتِهِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْأَغْصَانِ الشَّائِكَةِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ.

لَمْ يُدْرِكْ ريدي وُجُودَهُ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ. بِالطَّبْعِ، انْطَلَقَ ريدي فِي أَثَرِهِ، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ اسْتَخْدَمَ سُرْعَتَهُ جَيِّدًا. وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَأَخِّرًا. وَصَلَ جيد ثامبر الْعَجُوزُ إِلَى قَلْعَتِهِ وَريدي عَلَى بُعْدِ قَفْزَتَيْنِ مِنْهُ. عَلِمَ ريدي حِينَهَا أَنَّهُ لَا فُرْصَةَ لَهُ فِي الْإِمْسَاكِ بِجيد الْعَجُوزِ ذَاكَ الْيَوْمَ، وَلِبِضْعِ دَقَائِقَ شَعَرَ بِمَرَارَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. ثُمَّ فِي التَّوِّ وَاللَّحْظَةِ أَصْبَحَ الثَّعْلَبُ ريدي الشَّابَّ الْمَاهِرَ الذَّكِيَّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ حَقًّا، وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً.

قَالَ: «لَا جَدْوَى مِنْ أَنْ تَمْلَأَ مَعِدَةً فَارِغَةً بِأُمْنِيَّاتٍ. لَوْ كُنْتُ قَدْ أَتَيْتُ إِلَى هُنَا مُبَاشَرَةً وَاهْتَمَمْتُ بِشُئُونِي، لَكُنْتُ قَدْ أَمْسَكْتُ بِجيد ثامبر الْعَجُوزِ. وَالْآنَ سَوْفَ آتِي بِبَعْضِ الطَّعَامِ، وَلَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ حَتَّى أَفْعَلَ ذَلِكَ.»

أَخْرَجَ ريدي — بِكُلِّ حِكْمَةٍ — مِنْ ذِهْنِهِ كُلَّ فِكْرَةٍ مُزْعِجَةٍ، وَقَرَّرَ أَنْ يَسْتَخْدِمَ مَوَاهِبَهُ وَعَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَأَنْفَهُ كَمَا يَنْبَغِي؛ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ أَرَادَتْ ذَلِكَ. جَالَ يَصْطَادُ عَبْرَ الْمَرَاعِي الْخَضْرَاءِ كُلِّهَا، حَرِيصًا عَلَى أَلَّا يُفَوِّتَ مَوْضِعًا وَاحِدًا حَيْثُ تُوجَدُ أَضْعَفُ الْفُرَصِ فِي إِيجَادِ طَعَامٍ. وَلَكِنْ كَانَ كُلُّ هَذَا هَبَاءً. ابْتَلَعَ ريدي خَيْبَةَ الْأَمَلِ.

قَالَ: «وَالْآنَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ.» ثُمَّ انْطَلَقَ بِشَجَاعَةٍ.

عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، أَسْرَعَ بِقُرْبِ الضِّفَّةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بُقْعَةٍ نَادِرًا مَا يَتَجَمَّدُ الْمَاءُ بِهَا. وَكَمَا أَمَلَ، وَجَدَهَا غَيْرَ مُتَجَمِّدَةٍ. بَدَتْ فِي غَايَةِ الِاسْوِدَادِ وَالْبُرُودَةِ؛ حَتَّى إِنَّ مَنْظَرَهَا جَعَلَهُ يَرْتَعِشُ. جَرَى ذَهَابًا وَإِيَابًا وَأَنْفُهُ صَوْبَ الْأَرْضِ. وَفَجْأَةً تَوَقَّفَ

وَتَشَمَّمَ، ثُمَّ تَشَمَّمَ ثَانِيَةً، ثُمَّ تَبِعَ أَنْفَهُ مُتَّجِهًا نَحْوَ حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. هُنَاكَ كَانَتْ سَمَكَةٌ مَيْتَةٌ طَافِيَةٌ عَلَى الْمَاءِ الْأَسْوَدِ! إِذَا خَاضَ الْمَاءَ يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهَا.

ارْتَعَشَ ريدي عِنْدَ لَمْسِهِ الْمَاءَ الْبَارِدَ، وَلَكِنْ مَاذَا تَكُونُ الْقَدَمُ الْمُبَلَّلَةُ مُقَارَنَةً بِمَعِدَةٍ فَارِغَةٍ؟ فِي غُضُونِ دَقِيقَةٍ كَانَتْ بِحَوْزَتِهِ تِلْكَ السَّمَكَةُ وَعَادَ إِلَى الشَّاطِئِ. لَمْ تَكُنْ سَمَكَةً كَبِيرَةً، وَلَكِنَّهَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوقِفَ الْأَلَمَ فِي مَعِدَتِهِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَزِيدِ. تَنَهَّدَ ريدي فِي سَعَادَةٍ خَالِصَةٍ وَغَرَزَ أَسْنَانَهُ فِيهَا ثُمَّ ... حَسَنًا، لَقَدْ تَذَكَّرَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ الْمِسْكِينَةَ. ابْتَلَعَ ريدي قَضْمَةً وَحَاوَلَ أَنْ يَنْسَى الْجَدَّةَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ. ابْتَلَعَ قَضْمَةً أُخْرَى. كَانَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ الْمِسْكِينَةُ بِالْبَيْتِ جَائِعَةً مِثْلَهُ تَمَامًا، وَغَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى الصَّيْدِ مِنْ شِدَّةِ التَّيَبُّسِ وَالتَّعَبِ. غَصَّ ريدي بِالطَّعَامِ، ثُمَّ بَدَأَ مَعْرَكَةً مَعَ نَفْسِهِ. طَالَبَ بَطْنُهُ بِتِلْكَ السَّمَكَةِ. إِذَا أَكَلَهَا، فَلَنْ يَلُومَهُ أَحَدٌ. وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ تَحْتَاجُ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْهُ. صَارَعَ ريدي نَفْسَهُ مُدَّةً طَوِيلَةً. فِي النِّهَايَةِ، الْتَقَطَ السَّمَكَةَ وَانْطَلَقَ إِلَى الْمَنْزِلِ.

الفصل السادس عشر

ريدي سَعِيدٌ حَقًّا

إِنَّ صَنِيعَكَ مَعَ الْآخَرِينَ، لَا صَنِيعَهُمْ مَعَكَ،
هُوَ مَا يَجْلِبُ السَّعَادَةَ دَائِمًا إِلَيْكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

جَرَى الثَّعْلَبُ ريدي طَوَالَ الطَّرِيقِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ إِلَى الْمَنْزِلِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ. حَمَلَ فِي فَمِهِ السَّمَكَةَ الَّتِي وَجَدَهَا، وَالَّتِي أَخَذَ قَضْمَتَيْنِ فَقَطْ مِنْهَا. كَمَا تَذْكُرُونَ، لَقَدْ خَاضَ مَعْرَكَةً مَعَ نَفْسِهِ بِسَبَبِ تِلْكَ السَّمَكَةِ، وَالْآنَ هُوَ هَارِبٌ مِنْ نَفْسِهِ. يَبْدُو ذَلِكَ غَرِيبًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَلَكِنَّهُ حَقِيقِيٌّ. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، كَانَ ريدي هَارِبًا مِنْ نَفْسِهِ. كَانَ يَخْشَى أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَنْزِلِ لِلْجَدَّةِ الْعَجُوزِ بِتِلْكَ السَّمَكَةِ سَرِيعًا، فَسَيَأْكُلُ هُوَ كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهَا؛ لِذَا كَانَ يَجْرِي بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا. إِذَنْ، كَانَ حَقًّا يَهْرُبُ مِنْ نَفْسِهِ؛ نَفْسِهِ الْأَنَانِيَّةِ.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ فِي انْتِظَارِهِ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ، وَقَدْ رَأَى كَمْ لَمَعَتْ عَيْنَاهَا حِينَ رَأَتْهُ وَرَأَتْ مَا كَانَ مَعَهُ.

لَهِثَ وَهُوَ يَضَعُ السَّمَكَةَ عِنْدَ قَدَمِهَا قَائِلًا: «أَحْضَرْتُ لَكِ شَيْئًا لِتَأْكُلِيهِ يَا جَدَّتِي.» كَانَ نَفَسُهُ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ الْجَرْيِ. وَأَضَافَ: «لَيْسَ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهُ طَعَامٌ. هَذَا كُلُّ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجِدَهُ لَكِ.»

نَظَرَتِ الْجَدَّةُ إِلَى السَّمَكَةِ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى ريدي بِحِدَّةٍ، وَتَسَلَّلَتْ إِلَى عَيْنَيْهَا الصَّفْرَاوَيْنِ نَظْرَةٌ رَقِيقَةٌ حَانِيَةٌ، هِيَ نَظْرَةٌ لَمْ تَكُنْ لِتُصَدِّقَ أَنَّهُمَا سَيَحْمِلَانِهَا.

سَأَلَتِ الْجَدَّةُ بِرِفْقٍ: «مَاذَا أَكَلْتَ أَنْتَ؟»

أَشَاحَ ريدي بِرَأْسِهِ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الْجَدَّةُ أَنْ تَرَى وَجْهَهُ. قَالَ وَهُوَ يُحَاوِلُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ كَثِيرًا: «أُوهْ، لَقَدْ أَكَلْتُ شَيْئًا.» كَانَ هَذَا صَحِيحًا؛ كَانَ قَدْ أَكَلَ قَضْمَتَيْنِ مِنْ تِلْكَ السَّمَكَةِ. الْآنَ تَعْلَمُونَ مَدَى ذَكَاءِ وَبَرَاعَةِ الْجَدَّةِ ثعلبة. لَمْ يَخْدَعْهَا ريدي وَلَوْ قَلِيلًا. أَخَذَتْ قَضْمَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ مِنَ السَّمَكَةِ.

قَالَتِ: «الْآنَ لِنَقْتَسِمْهَا.» ثُمَّ قَطَعَتِ الْبَاقِيَ نِصْفَيْنِ. ابْتَلَعَتْ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ الْجُزْءَ الْأَصْغَرَ؛ لِأَنَّهَا كَمَا تَعْلَمُونَ كَانَتْ فِي شِدَّةِ الْجُوعِ. قَالَتْ وَهِيَ تَدْفَعُ بِالْجُزْءِ الْمُتَبَقِّي إِلَى ريدي: «هَذَا هُوَ نَصِيبُكَ.»

حَاوَلَ ريدي أَنْ يَرْفُضَ، وَقَالَ: «لَقَدْ جَلَبْتُهَا مِنْ أَجْلِكِ.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «أَعْلَمُ ذَلِكَ يَا ريدي.» وَقَدْ بَدَا لِريدي أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَهَا مِنْ قَبْلُ رَقِيقًا هَكَذَا. قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ جَلَبْتَهَا لِي فِي حِينِ أَنَّ كُلَّ مَا أَكَلْتَهُ أَنْتَ هُوَ قَضْمَتَانِ صَغِيرَتَانِ جِدًّا مِنْهَا. لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَخْدَعَنِي أَيُّهَا الثَّعْلَبُ ريدي. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ السَّمَكَةُ بِوَجْبَةٍ جَيِّدَةٍ لِأَحَدٍ مِنَّا، وَلَكِنْ كَانَتْ كَافِيَةً لِتُعْطِيَ كِلَيْنَا أَمَلًا صَغِيرًا، وَتَحْفَظَنَا مِنَ الْمَوْتِ جُوعًا. وَالْآنَ انْتَبِهْ لِمَا أَقُولُهُ لَكَ وَكُلْ نَصِيبَكَ.» وَقَالَتِ الْجُمْلَةَ الْأَخِيرَةَ بِصَرَامَةٍ.

نَظَرَ ريدي إِلَى الْجَدَّةِ ثُمَّ الْتَهَمَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ الصَّغِيرَةَ مِنَ السَّمَكَةِ دُونَ كَلِمَةٍ أُخْرَى.

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «هَذَا أَفْضَلُ. سَوْفَ نَشْعُرُ بِتَحَسُّنٍ. وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ أَكَلْتُ شَيْئًا أَشْعُرُ كَأَنَّنِي أَصْغَرُ بِعَامَيْنِ. قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ لَمْ أَشْعُرْ أَنَّنِي قَادِرَةٌ عَلَى الذَّهَابِ لِلصَّيْدِ مَرَّةً ثَانِيَةً. لَوْ لَمْ تَأْتِ بِشَيْءٍ لَمَا كُنْتُ لِأَصْمُدَ بَعْدُ، لَمَا كَانَ لَدَيْكَ جَدَّةٌ عَجُوزٌ لِتُفَكِّرَ بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ. رُبَّمَا لَا تُدْرِكُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْقَذْتَ حَيَاتِي يَا ريدي. كُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَرْحَلَةٍ يَجِبُ عَلَيَّ مَعَهَا أَنْ أَتَنَاوَلَ وَلَوْ قَلِيلًا مِنَ الطَّعَامِ. تُوجَدُ أَوْقَاتٌ يَكُونُ فِيهَا الْقَلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ أَفْضَلَ كَثِيرًا مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الطَّعَامِ؛ تِلْكَ كَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْمَرَّاتِ.»

لَمْ يَشْعُرِ الثَّعْلَبُ ريدي بِمِثْلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ مِنْ قَبْلُ قَطُّ. كَانَ لَا يَزَالُ جَائِعًا؛ جَائِعًا جِدًّا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُبَالِ. لَقَدْ أَنْقَذَ الْجَدَّةَ ثعلبة، الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ الطَّيِّبَةَ، الَّتِي عَلَّمَتْهُ كُلَّ مَا يَعْرِفُهُ. وَأَدْرَكَ أَنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهُ خَاضَ مَعْرَكَةً مَعَ نَفْسِهِ

لِيَقُومَ بِذَلِكَ. كَانَ ريدي سَعِيدًا بِكُلِّ مَعْنَى الْكَلِمَةِ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ الْكَبِيرَةَ تَأْتِي عِنْدَمَا تَقُومُ بِشَيْءٍ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ.

تَمْتَمَ قَائِلًا: «لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا.»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «بَلْ كَانَ أَمْرًا عَظِيمًا.» ثُمَّ غَيَّرَتِ الْمَوْضُوعَ وَسَأَلَتْهُ: «مَا رَأْيُكَ فِي أَنْ تَأْكُلَ عَشَاءً مِنْ عِنْدِ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر؟»

الفصل السابع عشر

الْجَدَّةُ ثعلبة تَعِدُ ريدي بِعَشَاءِ باوزر

إِنَّ خُطَّةَ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ الْحَكِيمَةِ،
هِيَ أَنْ تُعْطِيَ كُلًّا مِنْ أَبْنَائِهَا مَا يَحْتَاجُونَهُ،
أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى كُلِّ مَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ،
أَنْ يَعْمَلُوا وَيَلْعَبُوا وَيَحْيَوْا بِأَفْضَلِ صُورَةٍ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزِ

سَأَلَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ ريدي إِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَشَاءِ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر، فَنَظَرَ ريدي إِلَيْهَا بِتَمَعُّنٍ حَتَّى يَرَى إِذَا كَانَتْ تَمْزَحُ أَمْ حَقًّا تَعْنِي مَا قَالَتْهُ. بَدَتِ الْجَدَّةُ هَادِئَةً وَجَادَّةً لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّ ريدي تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهَا لَا تَمْزَحُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا بَدَتْ كَمَزْحَةٍ.

قَالَ: «بِالتَّأْكِيدِ أَوَدُّ ذَلِكَ يَا جَدَّتِي. أَجَلْ، بِالْفِعْلِ، أُرِيدُ ذَلِكَ دُونَ شَكٍّ. أَتَظُنِّينَ أَنَّهُ سَيُعْطِينَا شَيْئًا؟»

ضَحِكَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً: «لَا يَا ريدي. باوزر لَيْسَ كَرِيمًا لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ، خَاصَّةً مَعَ الثَّعَالِبِ. لَنْ يُعْطِيَنَا هَذَا الْعَشَاءَ؛ سَوْفَ نَسْلُبُهُ إِيَّاهُ. أَجَلْ يَا عَزِيزِي، بِالطَّبْعِ سَوْفَ نَسْلُبُهُ إِيَّاهُ.»

لَمْ يُدْرِكْ ريدي عَلَى الْإِطْلَاقِ كَيْفَ يُمْكِنُ سَلْبُ عَشَاءٍ مِنَ الْكَلْبِ باوزر. بَدَا لَهُ ذَلِكَ مُسْتَحِيلًا مِثْلَمَا كَانَ مُسْتَحِيلًا لَهُ أَنْ يَتَسَلَّقَ أَوْ يَطِيرَ أَوْ يَغْطِسَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ وَاثِقًا بِشِدَّةٍ فِي مَهَارَةِ الْجَدَّةِ. تَذَكَّرَ كَيْفَ كَانَتْ عَلَى وَشْكِ الْإِمْسَاكِ بِالْبَطَّةِ كواكر. عَلِمَ أَنَّهُ حِينَ كَانَ بَعِيدًا يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ لِيَأْكُلَاهُ، كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَقُومُ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُرِيحَ

عِظَامَهَا. عَلِمَ أَنَّ مَهَارَاتِهَا الْحَادَّةَ لَمْ تَتَعَطَّلْ عَنِ الْعَمَلِ لِدَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. عَلِمَ أَنَّهَا كَانَتْ تُخَطِّطُ وَتُخَطِّطُ طَوَالَ الْوَقْتِ لِتَجِدَ طَرِيقَةً مَا يَحْصُلَانِ بِهَا عَلَى طَعَامٍ. كَانَ إِيمَانُهُ بِالْجَدَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَبِيرًا جِدًّا إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهَا لَوْ قَالَتْ لَهُ إِنَّهَا سَوْفَ تَأْتِيهِ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْقَمَرِ كَانَ سَيُصَدِّقُهَا.

قَالَ ريدي: «إِذَا قُلْتِ إِنَّهُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَأْخُذَ الْعَشَاءَ مِنْ باوزر فَإِنَّنِي أُصَدِّقُ هَذَا، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنِي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ بِإِمْكَانِنَا، فَهَيَّا بِنَا الْآنَ. إِنَّنِي جَائِعٌ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ كَيْ أُوَاجِهَ أَيَّ تَحَدٍّ فِي سَبِيلِ أَنْ آكُلَ شَيْئًا. إِنَّ مَعِدَتِي فَارِغَةٌ جِدًّا، وَقِطْعَةَ السَّمَكَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي اقْتَسَمْنَاهَا تَتَرَنَّحُ بِدَاخِلِهَا وَكَأَنَّهَا تَائِهَةٌ. يَا إِلَهِي! أَسْتَطِيعُ أَنْ آكُلَ مِلْيُونَ سَمَكَةٍ بِهَذَا الْحَجْمِ! هَلْ فَكَّرْتِ بِدَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون يَا جَدَّتِي؟»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «بِالطَّبْعِ يَا ريدي! بِالطَّبْعِ! يَا لَهُ مِنْ سُؤَالٍ سَخِيفٍ! يُمْكِنُنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَيْهَا لَاحِقًا.»

قَاطَعَهَا ريدي مُتَنَهِّدًا: «لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ إِلَيْهَا الْآنَ!»

أَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً: «وَلَكِنْ كَمَا أَخْبَرْتُكَ يَا ريدي، إِنَّ أَضْمَنَ طَرِيقَةٍ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَشَاكِلِ هِيَ سَرِقَةُ الدَّجَاجِ. لَا أَشْعُرُ أَنَّنِي قَادِرَةٌ عَلَى مُوَاجَهَةِ مُطَارَدَةِ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر الْآنَ، وَإِذَا أَتَيْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ مُبَاشَرَةً، فَسَوْفَ نُفْصِحُ عَنْ مَكَانِ عَيْشِنَا وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُطْلِقُوا عَلَيْنَا الدُّخَانَ، وَتَكُونَ هَذِهِ نِهَايَتَنَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، تِلْكَ الدَّجَاجَاتُ يَصْعُبُ الْحُصُولُ عَلَيْهَا فِي مِثْلِ هَذَا الْجَوِّ؛ لِأَنَّهَا تَظَلُّ فِي بَيْتِهَا، وَلَا تُوجَدُ لَدَيْنَا طَرِيقَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى هُنَاكَ سِوَى الدُّخُولِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، وَهَذَا لَنْ يُفْلِحَ. سَيَكُونُ الْأَمْرُ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ أَنْ نَسْرِقَ عَشَاءَ باوزر. فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، لَنْ يَعْلَمَ بِالْأَمْرِ سِوَى باوزر إِذَا كُنَّا حَذِرَيْنِ، وَمَا دَامَ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِالسَّلَاسِلِ، فَلَنْ نَقْلَقَ بِشَأْنِهِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، سَنَسْتَمْتِعُ بِالِانْتِقَامِ مِنْهُ؛ مِنْ أَجْلِ الْمَرَّاتِ الَّتِي أَفْسَدَ فِيهَا عَلَيْنَا الْحُصُولَ عَلَى دَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ، وَمِنْ أَجْلِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يُلَاحِقُنَا بِهَا. قَطْعًا مِنَ الْأَفْضَلِ وَالْآمَنِ مُحَاوَلَةُ سَرِقَةِ عَشَاءِ باوزر عَنْ سَرِقَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ.»

رَدَّ ريدي: «كَمَا تَشَائِينَ يَا جَدَّتِي؛ كَمَا تَشَائِينَ. أَنْتِ تَعْرِفِينَ الْأَفْضَلَ. وَلَكِنْ لَا أَعْلَمُ تَمَامًا كَيْفَ نَفْعَلُ ذَلِكَ.»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «هَذَا بَسِيطٌ، بَسِيطٌ جِدًّا. مُعْظَمُ الْأُمُورِ تَكُونُ بَسِيطَةً لِلْغَايَةِ عِنْدَمَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَقُومُ بِهَا. لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقُومَ بِذَلِكَ وَحْدَهُ، وَلَكِنْ مَعًا نَسْتَطِيعُ دُونَ أَدْنَى خَطَرٍ. اسْتَمِعْ.»

اقْتَرَبَتِ الْجَدَّةُ مِنْ ريدي وَهَمَسَتْ لَهُ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ مَعَهُمَا. ارْتَسَمَتِ ابْتِسَامَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى وَجْهِ ريدي وَهُوَ يُنْصِتُ. وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ مِنَ الْكَلَامِ، انْطَلَقَتْ ضِحْكَةٌ مِنْهُ.

هَتَفَ بِإِعْجَابٍ: «أَنْتِ رَائِعَةٌ يَا جَدَّتِي! مَا كَانَ لِيَخْطُرَ هَذَا بِبَالِي. بِالتَّأْكِيدِ نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ. يَا إِلَهِي! سَيَتَفَاجَأُ باوزر! وَكَمْ سَيُجَنُّ جُنُونُهُ! هَيَّا بِنَا، فَلْنَذْهَبْ!»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «حَسَنًا!» وَانْطَلَقَ الِاثْنَانِ نَحْوَ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون.

الفصل الثامن عشر

لِمَاذَا لَمْ يَأْكُلْ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر طَعَامَهُ

أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ الْمُحَيِّرَةِ لَكَ،
هِيَ أَبْسَطُهَا حِينَ تَتَكَشَّفُ لَكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

يَعْشَقُ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر الصَّيْدَ مِنْ أَجْلِ مُتْعَةِ الْمُلَاحَقَةِ. لَيْسَتْ لِرَغْبَةٍ فِي الْقَتْلِ بِقَدْرِ مُتْعَةِ اسْتِخْدَامِ ذَلِكَ الْأَنْفِ الْعَجِيبِ خَاصِّيَّتَهُ، وَإِثَارَةِ مُحَاوَلَةِ الْإِمْسَاكِ بِأَحَدِهِمْ، خَاصَّةً الْجَدَّةَ أَوِ الثَّعْلَبَ ريدي. تَخَلَّصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهِيبَةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يُرِيدُ قَتْلَ أَهْلِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ، وَلَكِنْ بِالْأَحْرَى أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُمْ أَصْدِقَاءَهُ. اشْتَاقَ باوزر لِلصَّيْدِ الْمُمْتِعِ الَّذِي كَانَ قَدِ اعْتَادَ الِاسْتِمْتَاعَ بِهِ مَعَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون؛ لِذَا كَانَ مِنْ عَادَةِ باوزر التَّسَلُّلُ خَارِجًا لِلصَّيْدِ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ. حِينَ اكْتَشَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَذَا، أَحْضَرَ سِلْسِلَةً وَرَبَطِ باوزر بِبَيْتِهِ الصَّغِيرِ؛ لِيَمْنَعَهُ مِنَ الْهُرُوبِ وَالصَّيْدِ خُلْسَةً.

بِالطَّبْعِ لَمْ يَظَلَّ باوزر مُقَيَّدًا طَوَالَ الْوَقْتِ. أَجَلْ! فَحِينَ يَكُونُ سَيِّدُهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ، حَيْثُ يَسْتَطِيعُ مُرَاقَبَتَهُ، كَانَ يَتْرُكُهُ حُرًّا. وَلَكِنْ مَتَى كَانَ يَخْرُجُ وَلَا يَشَاءُ أَنْ يَأْخُذَ باوزر مَعَهُ، كَانَ يُقَيِّدُهُ. وَكَانَ باوزر يَحْظَى دَائِمًا بِوَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ يَوْمِيًّا. دُونَ شَكٍّ، كَانَ يَتَنَاوَلُ بَقَايَا طَعَامٍ وَعَظْمَةً مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ، وَلَكِنْ يَوْمِيًّا كَانَ يَحْظَى بِوَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ مُقَدَّمَةٍ لَهُ فِي وِعَاءٍ مِنَ الْقَصْدِيرِ. حِينَ يَكُونُ مُقَيَّدًا، كَانَتْ تُجْلَبُ لَهُ، وَحِينَ لَا يَكُونُ، كَانَتْ تُوضَعُ لَهُ عِنْدَ بَابِ الْمَطْبَخِ.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة تَعْلَمُ كُلَّ هَذَا. كَانَتِ الْجَدَّةُ الْعَجُوزُ الْمَاكِرَةُ تَهْتَمُّ بِمَعْرِفَةِ شُئُونِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَعْلَمُ مَتَى تَكُونُ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ مُفِيدَةً لَهَا؛ لِذَا كَانَتِ الْجَدَّةُ تُرَاقِبُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر، وَلَيْسَ لَدَيْهِ هُوَ وَسَيِّدِهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ أَنَّهَا فِي مَكَانٍ مَا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُمَا، وَاكْتَشَفَتْ عَادَاتِهِ؛ الْوَقْتَ الْمُعْتَادَ لِتَنَاوُلِ الْعَشَاءِ، وَإِلَى أَيِّ مَدًى تَسْمَحُ لَهُ تِلْكَ السِّلْسِلَةُ أَنْ يَذْهَبَ. تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي خَزَّنَتْهَا الْعَجُوزُ الدَّاهِيَةُ فِي رَأْسِهَا هِيَ الَّتِي جَعَلَتْهَا وَاثِقَةً تَمَامًا أَنَّهَا وَريدي يَسْتَطِيعَانِ سَرِقَةَ عَشَاءِ باوزر مِنْهُ.

كَانَ مِيعَادُ عَشَاءِ باوزر قَدِ اقْتَرَبَ حِينَ اجْتَازَتِ الْجَدَّةُ وَريدي الْحُقُولَ الْمَكْسُوَّةَ بِالثَّلْجِ وَتَسَلَّلَا خَلْفَ الْحَظِيرَةِ إِلَى حَيْثُ يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَخْتَلِسَا النَّظَرَ حَوْلَ الزَّاوِيَةِ. لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ، وَلَا حَتَّى باوزر، الَّذِي كَانَ دَاخِلَ بَيْتِهِ الصَّغِيرِ الدَّافِئِ فِي نِهَايَةِ الْكُوخِ الطَّوِيلِ خَلْفَ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون. رَأَتِ الْجَدَّةُ أَنَّهُ مُقَيَّدٌ، وَاعْتَرَتِ ابْتِسَامَةٌ خَبِيثَةٌ وَجْهَهَا.

قَالَتْ لِريدي: «انْتَظِرْ أَنْتَ هَا هُنَا وَرَاقِبْ إِلَى أَنْ يُجْلَبَ الطَّعَامُ لَهُ. حَالَمَا يَعُودُ ثَانِيَةً مَنْ يُحْضِرُ لَهُ الطَّعَامَ تَخْرُجُ أَنْتَ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ باوزر أَنْ يَرَاكَ. حِينَ يَرَاكَ، سَوْفَ يَنْسَى أَمْرَ عَشَائِهِ. اجْلِسْ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَاكَ تَمَامًا، وَامْكُثْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ تَرَى أَنَّنِي قَدْ حَصَلْتُ عَلَى الْعَشَاءِ، أَوْ إِلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحَدًا قَادِمًا، فَكَمَا تَعْلَمُ سَيُحْدِثُ باوزر جَلَبَةً كَبِيرَةً. ثُمَّ تَسَلَّلْ إِلَى خَلْفِ الْحَظِيرَةِ وَانْضَمَّ إِلَيَّ خَلْفَ الْكُوخِ.»

لِذَا جَلَسَ ريدي لِيُرَاقِبَ، وَتَرَكَتْهُ الْجَدَّةُ. بَعْدَهَا بِوَقْتٍ قَصِيرٍ خَرَجَتِ السَّيِّدَةُ براون حَامِلَةً وِعَاءً مَلِيئًا بِأَشْيَاءَ طَيِّبَةٍ. وَضَعَتْهُ أَمَامَ بَيْتِ باوزر الصَّغِيرِ وَنَادَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَارَتْ وَعَادَتْ مُسْرِعَةً؛ لِأَنَّ الْجَوَّ كَانَ بَارِدًا جِدًّا. خَرَجَ باوزر مِنْ بَيْتِهِ وَتَثَاءَبَ وَتَمَطَّى بِتَكَاسُلٍ.

حَانَ الْوَقْتُ لِريدي أَنْ يَقُومَ بِدَوْرِهِ. خَرَجَ وَجَلَسَ أَمَامَ باوزر وَسَخِرَ مِنْهُ. حَدَّقَ باوزر لِدَقِيقَةٍ وَكَأَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ مَا يَرَاهُ. يَا لَوَقَاحَتِهِ! دَمْدَمَ باوزر. ثُمَّ أَطْلَقَ عُوَاءَهُ وَقَفَزَ نَحْوَ ريدي.

كَانَتِ السِّلْسِلَةُ الْمَمْسُوكُ بِهَا طَوِيلَةً، وَلَكِنَّ ريدي كَانَ حَذِرًا أَلَّا يَقْتَرِبَ كَثِيرًا، وَبِالطَّبْعِ لَمْ يَسْتَطِعْ باوزر الْوُصُولَ إِلَيْهِ. حَاوَلَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ وَعَوَى وَنَبَحَ بِجُنُونٍ، وَلَكِنَّ ريدي جَلَسَ وَضَحِكَ مِنْهُ بِطَرِيقَةٍ غَايَةٍ فِي الاسْتِفْزَازِ. كَانَ مِنَ الْمُمْتِعِ جِدًّا إِثَارَةُ باوزر بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ تَسَلَّلَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْكُوخِ مِنْ وَرَاءِ باوزر. أَمْسَكَتْ بِأَسْنَانِهَا حَافَةَ الْوِعَاءِ وَسَحَبَتْهُ حَوْلَ الزَّاوِيَةِ وَاخْتَفَتْ. إِذَا أَصْدَرَتْ أَيَّ صَوْتٍ، لَمْ يَكُنْ باوزر لِيَسْمَعَهَا. كَانَ هُوَ نَفْسُهُ يُصْدِرُ جَلَبَةً عَالِيَةً، وَكَانَ هَائِجًا جِدًّا. حِينَهَا سَمِعَ ريدي صَوْتَ بَابٍ يَنْفَتِحُ. كَانَتِ السَّيِّدَةُ براون آتِيَةً لِتَرَى مَا سَبَبُ كُلِّ ذَلِكَ الضَّجِيجِ. مِثْلَ الْبَرْقِ جَرَى ريدي وَرَاءَ الْحَظِيرَةِ، وَكُلُّ مَا رَأَتْهُ السَّيِّدَةُ براون هُوَ باوزر وَهُوَ يَجُرُّ سِلْسِلَتَهُ وَيَئِنُّ وَيَعْوِي هَائِجًا.

عَادَتِ السَّيِّدَةُ براون إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ وَهِيَ تَقُولُ: «أَظُنُّ أَنَّهُ رَأَى قِطَّةً ضَالَّةً أَوْ مَا شَابَهَ.» اسْتَمَرَّ باوزر فِي أَنِينِهِ وَهُوَ يَجُرُّ سِلْسِلَتَهُ لِبِضْعِ دَقَائِقَ، ثُمَّ اسْتَسْلَمَ وَعَادَ لِيَتَنَاوَلَ عَشَاءَهُ وَهُوَ يُدَمْدِمُ. وَلَكِنْ لَمْ يُوجَدْ هُنَاكَ أَيُّ عَشَاءٍ! لَقَدِ اخْتَفَى، الْوِعَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ! لَمْ يَفْهَمْ باوزر مَاذَا حَدَثَ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

خَلْفَ الْكُوخِ لَعِقَتِ الْجَدَّةُ وَريدي الْوِعَاءَ؛ لَعِقَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ نَظِيفًا مِنْ آثَارِ الطَّعَامِ. ثُمَّ، بِقَلِيلٍ مِنْ تَنْهِيدَاتِ الشِّبَعِ، وَضِحْكَةٍ مَكْتُومَةٍ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ، مَضَيَا إِلَى الْمَنْزِلِ سَعِيدَيْنِ.

الفصل التاسع عشر

الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ يُفَكِّرُ

فَلْتَتَحَرَّ وَلْتَبْحَثْ بِنَفْسِكَ
عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَتُوقُ لَهَا نَفْسُكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

لَمْ يَسْتَمْتِعِ الثَّعْلَبُ ريدي فِي حَيَاتِهِ بِعَشَاءٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي سَرَقَهُ هُوَ وَالْجَدَّةُ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر. بِالطَّبْعِ كَانَ سَيَطِيبُ لَهُمَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا جَائِعَيْنِ بِشِدَّةٍ، وَلَكِنَّهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ريدي كَانَ أَطْيَبَ بِكَثِيرٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَشَاءَ باوزر. كَانَ باوزر يُطَارِدُ ريدي كَثِيرًا، حَتَّى إِنَ ريدي لَمْ يُحِبَّهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَبْهَجَ ريدي أَنَّهُمَا قَدْ أَخَذَا عَشَاءَهُ مِنْ تَحْتِ أَنْفِهِ تَقْرِيبًا.

بَعْدَمَا تَنَاوَلَ ريدي وَالْجَدَّةُ ذَلِكَ الْعَشَاءَ الشَّهِيَّ شَعَرَا بِتَحَسُّنٍ كَبِيرٍ؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ لَمْ يَعُدْ يَبْدُو مَكَانًا بَارِدًا قَاسِيًا. مِنَ الطَّرِيفِ كَيْفَ أَنَّ الْأُمُورَ نَفْسَهَا تَبْدُو مُخْتَلِفَةً حِينَ تَكُونُ شَبْعَانَ وَحِينَ تَكُونُ جَائِعًا! أَفْضَلُ شَيْءٍ نَمَى إِلَى عِلْمِهِمَا أَنَّهُ بِإِمْكَانِهِمَا أَنْ يُكَرِّرَا نَفْسَ الْحِيلَةِ الذَّكِيَّةِ وَيَسْرِقَا عَشَاءً آخَرَ مِنْ باوزر إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ. إِنَّهُ شُعُورٌ مُرِيحٌ، شُعُورٌ مُرِيحٌ لِلْغَايَةِ، أَنْ تَعْلَمَ جَيِّدًا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي بِوَجْبَةٍ ثَانِيَةٍ. إِنَّهُ شُعُورٌ قَلَّمَا رَاوَدَ الْجَدَّةَ وَالثَّعْلَبَ ريدي وَالْكَثِيرَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ فِي الشِّتَاءِ. عَادَةً، عِنْدَمَا يَتَنَاوَلُونَ وَجْبَةً وَاحِدَةً، لَا يَكُونُ لَدَيْهِمْ أَدْنَى فِكْرَةٍ مِنْ أَيْنَ سَتَأْتِي الْوَجْبَةُ التَّالِيَةُ. مَا رَأْيُكَ فِي أَنْ تَعِيشَ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟

فِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَتِ الْجَدَّةُ وَريدي إِلَى بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون فِي سَاعَةِ عَشَاءِ باوزر. وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَعْمَلُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْحَظِيرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ باوزر مُقَيَّدًا. تَسَلَّلَتِ الْجَدَّةُ وَريدي فِي هُدُوءٍ تَمَامًا مِثْلَمَا أَتَيَا. فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَجَدَا باوزر مُقَيَّدًا وَسَرَقَا عَشَاءً آخَرَ؛ ثُمَّ رَحَلَا وَهُمَا يَضْحَكَانِ حَتَّى تَوَجَّعَتْ أَضْلُعُهُمَا وَهُمَا يَسْمَعَانِ نُبَاحَ باوزر مِنَ الْمُفَاجَأَةِ وَخَيْبَةِ الْأَمَلِ عِنْدَمَا اكْتَشَفَ أَنَّ عَشَاءَهُ قَدِ اخْتَفَى. عَلِمَا مِنْ صَوْتِهِ أَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ عَمَّا حَدَثَ لِذَلِكَ الْعَشَاءِ.

فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كَانَ هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرُ يَجُولُ فِي الْمُرُوجِ الْمُغَطَّاةِ بِالثَّلْجِ وَعَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ بِمَعِدَةٍ فَارِغَةٍ وَضَامِرَةٍ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ آخَرَ؛ كَانَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ. إِنَّهُ مَاهِرٌ جِدًّا، وَقَدِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَ مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ لِيُبْقِيَهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَا يَكْفِي لِيُعْطِيَهُ ذَلِكَ الشُّعُورَ بِالشِّبَعِ. فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يُحْتَضَرُ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ، كَانَ دَائِمًا جَائِعًا؛ لِذَا أَمْضَى كُلَّ وَقْتٍ لَا يَنَامُ فِيهِ بَاحِثًا عَمَّا يَأْكُلُهُ.

بِالطَّبْعِ صَادَفَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ آثَارَ الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي، وَمِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ كَانَ يُقَابِلُهُمَا. خَطَرَ بِبَالِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ أَنَّهُمَا لَمْ يَبْدُوَا فِي مِثْلِ نَحَافَتِهِ. ذَلِكَ جَعَلَهُ يُفَكِّرُ. لَمْ يَكُنْ أَيٌّ مِنْهُمَا أَذْكَى مِنْهُ فِي الصَّيْدِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَتَبَاهَى بِنَفْسِهِ لِكَوْنِهِ أَذْكَى مِنْهُمَا. مَعَ ذَلِكَ، حِينَ قَابَلَهُمَا، بَدَوَا فِي أَحْسَنِ حَالٍ وَغَيْرَ قَلِقَيْنِ الْبَتَّةَ حِيَالَ شَحَّةِ الطَّعَامِ. لِمَاذَا؟ لَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ سَبَبًا. لَا بُدَّ أَنَّهُمَا يَأْتِيَانِ بِطَعَامٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ.

تَمْتَمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ: «سَوْفَ أُرَاقِبُهُمَا.»

هَكَذَا بِمَكْرٍ وَذَكَاءٍ شَدِيدَيْنِ تَبِعَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ الْجَدَّةَ وَالثَّعْلَبَ ريدي مُحْتَاطًا لِئَلَّا يَنْتَبِهَا أَنَّهُ يَفْعَلُ هَذَا. لِلَيْلَةٍ كَامِلَةٍ تَبِعَهُمَا عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَحِينَ رَآهُمَا أَخِيرًا يَعُودَانِ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَلَا يَبْدُو عَلَيْهِمَا الْقَلَقُ مُطْلَقًا أَنَّهُمَا لَمْ يُمْسِكَا بِشَيْءٍ، عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ أَكْثَرَ.

تَمْتَمَ وَهُوَ يَحُكُّ أُذُنَيْهِ وَاحِدَةً ثُمَّ الْأُخْرَى: «إِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ بِطَعَامٍ مِنْ مَكَانٍ مَا، هَذَا مُؤَكَّدٌ.» لِسَبَبٍ مَا كَانَ يُفَكِّرُ بِطَرِيقَةٍ أَفْضَلَ حِينَ يَحُكُّ أُذُنَيْهِ. «إِذَا كَانَا لَا يَحْصُلَانِ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَهُمَا بِالتَّأْكِيدِ لَمْ يَحْصُلَا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ اللَّيْلَةَ، لَا بُدَّ أَنَّهُمَا يَحْصُلَانِ عَلَيْهِ بِالنَّهَارِ.

لَقَدْ قُمْتُ بِالْكَثِيرِ مِنَ الصَّيْدِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ وَلَمْ أُقَابِلْهُمَا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، أَوْ أَرَهُمَا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ أَوِ الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. أَتَسَاءَلُ عَمَّا إِنْ كَانَا يَسْرِقَانِ دَجَاجَ الْمُزَارِعِ براون وَلَمْ يَكْشِفْ أَمْرَهُمَا حَتَّى الْآنَ. عَنْ نَفْسِي لَقَدِ ابْتَعَدْتُ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِمَا سَرِقَةُ الدَّجَاجِ دُونَ الْإِمْسَاكِ بِهِمَا، فَيُمْكِنُنِي ذَلِكَ بِالطَّبْعِ. لَا يُوجَدُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ثَعْلَبٌ ذَكِيٌّ بِالْقَدْرِ الْكَافِي لِلْقِيَامِ بِأَمْرٍ لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامُ بِهِ قَيُّوطٌ إِذَا حَاوَلَ. أَظُنُّ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ خِلْسَةً إِلَى حَيْثُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُرَاقِبَ بَيْتَ الْمُزَارِعِ براون، وَأَرَى مَاذَا يَحْدُثُ هُنَاكَ. أَجَلْ، هَذَا مَا سَأَفْعَلُهُ.»

هَكَذَا ضَحِكَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ ثُمَّ عَقَصَ نَفْسَهُ لِيَغْفُوَ قَلِيلًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتْعَبًا.

الفصل العشرون

عَشَاءٌ مَسْرُوقٌ مَرَّتَيْنِ

لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الذَّكَاءِ أَلَّا يُمَكِّنَ لِشَخْصٍ آخَرَ أَنْ يُثْبِتَ أَنَّهُ أَذْكَى مِنْهُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

اسْتَمِعْ وَسَتَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمُحْتَالِينَ الثَّلَاثَةِ. اثْنَانِ كَانَا يَرْتَدِيَانِ الْأَحْمَرَ، وَهُمَا الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي، وَآخَرُ كَانَ يَرْتَدِي الرَّمَادِيَّ، وَهُوَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. كَانُوا أَمْكَرَ وَأَذْكَى ثَلَاثَةِ مُحْتَالِينَ فِي كُلِّ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. انْطَلَقَ الثَّلَاثَةُ لِسَرِقَةِ نَفْسِ الْعَشَاءِ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَوُوا سَرِقَتَهُ مِنْ نَفْسِ الشَّخْصِ. وَالْأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَمْ يَعْرِفْ أَيْنَ ذَلِكَ الْعَشَاءُ، وَمَا هُوَ نَوْعُهُ.

اعْتَزَمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ أَنْ يَعْرِفَ مَا كَانَتِ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي يَأْكُلَانِ، وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيَانِ بِهِ، فَاخْتَبَأَ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى مَا يَحْدُثُ فِي بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَكِّدًا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنْهُ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي عَلَى الطَّعَامِ. انْتَظَرَ قَلِيلًا ثُمَّ جَاءَتِ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي مَارَّيْنِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ بِهِ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. لَمْ يَرَيَاهُ. بِالطَّبْعِ لَا. حَرَصَ عَلَى أَلَّا يَحْدُثَ هَذَا. وَلَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَمْ يَكُونَا يُفَكِّرَانِ بِهِ. كَانَتْ أَفْكَارُهُمَا كُلُّهَا عَنْ ذَلِكَ الْعَشَاءِ الَّذِي اعْتَزَمَا الْحُصُولَ عَلَيْهِ، وَعَنِ الْحِيلَةِ الذَّكِيَّةِ الَّتِي سَيَحْصُلَانِ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِهَا.

هَكَذَا كَانَتْ أَفْكَارُهُمَا كُلُّهَا عَنْ ذَلِكَ الْعَشَاءِ حِينَ تَسَلَّلَا خَلْفَ الْحَظِيرَةِ وَاسْتَعَدَّا لِلْقِيَامِ بِالْحِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ بَالِغَةَ النَّجَاحِ مِنْ قَبْلُ. تَسَلَّلَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ وَرَاءَهُمَا. رَأَى

ريدي مُسْتَلْقِيًا حَيْثُ يَسْتَطِيعُ اخْتِلَاسَ النَّظَرِ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْحَظِيرَةِ لِيُرَاقِبَ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر، وَلِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ شَخْصٍ آخَرَ عَلَى مَقْرُبَةٍ. رَأَى الْجَدَّةَ تَتْرُكُ ريدي هُنَاكَ وَتُسْرِعُ. كَانَتْ مَهَارَاتُ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ تَعْمَلُ بِسُرْعَةٍ.

تَفَكَّرَ قَائِلًا: «لَا أَسْتَطِيعُ الْوُجُودَ فِي مَكَانَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؛ لِذَا لَا أَسْتَطِيعُ مُرَاقَبَةَ الْجَدَّةِ وَريدي. بِمَا أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ مُرَاقَبَةَ وَاحِدٍ فَقَطْ، فَمَنْ أَخْتَارُ؟ الْجَدَّةَ، بِالطَّبْعِ. الْجَدَّةُ هِيَ أَذْكَى الِاثْنَيْنِ، وَأَيًّا مَا كَانَا يَفْعَلَانِ فَهِيَ تَقُومُ بِالدَّوْرِ الْأَهَمِّ. الْجَدَّةُ هِيَ مَنْ سَأَتْبَعُ.»

لِذَا، كَظِلٍّ رَمَادِيٍّ، تَسَلَّلَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ الْمَاكِرُ وَرَاءَ الْجَدَّةِ ثعلبة، وَرَآهَا تَخْتَبِئُ وَرَاءَ زَاوِيَةِ الْكُوخِ الَّذِي كَانَ بِنِهَايَتِهِ بَيْتُ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر الصَّغِيرُ. اقْتَرَبَ عَلَى قَدْرِ جُرْأَتِهِ، ثُمَّ اسْتَلْقَى مُسَطَّحًا وَرَاءَ مَجْمُوعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْعُشْبِ التَّالِفِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْكُوخِ. لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، وَتَحَيَّرَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ كَانَتِ الْجَدَّةُ تَنْظُرُ وَرَاءَهَا وَحَوْلَهَا لِتَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَرَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ. بَعْدَ مَا بَدَا لَهُ أَنَّهُ دَهْرٌ طَوِيلٌ، سَمِعَ صَوْتَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى لِلْكُوخِ. كَانَتِ السَّيِّدَةُ براون تَحْمِلُ إِلَى الْخَارِجِ عَشَاءَ باوزر. بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنِ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ يَعْرِفُ هَذَا. عَلِمَ مِنَ الصَّوْتِ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَهَذَا جَعَلَهُ يَتَوَتَّرُ. لَمْ يَكُنْ يَمِيلُ لِفِكْرَةِ وُجُودِهِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون فِي وَضَحِ النَّهَارِ، وَلَكِنَّهُ أَبْقَى عَيْنَيْهِ عَلَى الْجَدَّةِ ثعلبة، وَرَأَى أُذُنَيْهَا مُنْتَصِبَتَيْنِ عَلَى نَحْوٍ جَعَلَهُ يُدْرِكُ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ هِيَ مَا كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ بِالضَّبْطِ.

فَكَّرَ بِمَكْرٍ: «إِذَا لَمْ تَكُنْ خَائِفَةً، فَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَخَافَ أَنَا أَيْضًا.» بَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ سَمِعَ صَوْتَ بَابٍ يَنْغَلِقُ، وَأَدْرَكَ أَنَّ أَيًّا كَانَ مَنْ خَرَجَ فَهُوَ قَدْ دَخَلَ ثَانِيَةً إِلَى الْمَنْزِلِ. عَلَى الْفَوْرِ تَقْرِيبًا بَدَأَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر يَعْوِي وَيَنْبَحُ. اخْتَفَتِ الْجَدَّةُ سَرِيعًا خَلْفَ الزَّاوِيَةِ. تَمَامًا مِثْلَمَا تَقَدَّمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ سَرِيعًا وَاخْتَلَسَ النَّظَرَ عِنْدَ الزَّاوِيَةِ. هُنَاكَ رَأَى كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر يَجُرُّ سِلْسِلَتَهُ، وَبَعِيدًا عَنْهُ كَانَ يَقِفُ الثَّعْلَبُ ريدي يَبْتَسِمُ بِطَرِيقَةٍ مُغَيِّظَةٍ جِدًّا. وَكَانَتِ الْجَدَّةُ فِي الْخَلْفِ تَجُرُّ وَرَاءَهَا عَشَاءَ باوزر. فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، فَهِمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ الْخُطَّةَ، وَكَادَ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ مِنْ بَرَاعَتِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بِسُرْعَةٍ إِلَى وَرَاءِ الْكُوخِ وَانْتَظَرَ. فِي خِلَالِ دَقِيقَةٍ، ظَهَرَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة وَهِيَ تَجُرُّ عَشَاءَ باوزر. كَانَتْ مُنْكَبَّةً تَمَامًا

عَلَى الْحُصُولِ عَلَى هَذَا الْعَشَاءِ، حَتَّى إِنَّهَا كَادَتْ تَصْطَدِمُ بِالْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ دُونَ أَنْ تَشُكَّ فِي وُجُودِهِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا.

دَمْدَمَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ فِي أُذُنَي الْجَدَّةِ: «شُكْرًا لَكِ يَا جَدَّةُ. لَا تَقْلَقِي حِيَالَهُ بَعْدَ الْآنَ؛ سَآخُذُهُ مِنْكِ.»

أَفْلَتَتِ الْجَدَّةُ الْعَشَاءَ وَكَأَنَّهُ قَدْ حَرَقَ لِسَانَهَا، وَبِعُوَاءَةٍ صَغِيرَةٍ خَائِفَةٍ قَفَزَتْ جَانِبًا. بَعْدَ دَقِيقَةٍ، جَاءَ رِيدِي يَرْكُضُ مِنْ خَلْفِ الْحَظِيرَةِ مُتَلَهِّفًا عَلَى نَصِيبِهِ، لَكِنْ مَا رَآهُ كَانَ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ وَهُوَ يَلْتَهِمُ هَذَا الْعَشَاءَ الْمَسْرُوقَ مَرَّتَيْنِ بَيْنَمَا تَثِبُ الْجَدَّةُ مِنَ الْغَيْظِ.

الفصل الحادي والعشرون

الْجَدَّةُ وَريدي يُنَاقِشَانِ الْأَمْرَ

عَلَى مَدَارِ حَيَاتِكَ سَتَجِدُ أَنَّ مَا أَرَدْتَهُ لِنَفْسِكَ
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ نَفْسُهُ مَا لَا يَجِبُ أَنْ تَأْخُذَهُ،
ثُمَّ تُدْرِكُ أَنَّ مَا كَانَ يَبْدُو خَسَارَةً هُوَ مَكْسَبٌ لَكَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

إِذَا بَلَغَ الْجُنُونُ مِنَ اثْنَيْنِ أَقْصَى مَبْلَغِهِ، فَهَذَانِ الِاثْنَانِ كَانَا الْجَدَّةَ وَالثَّعْلَبَ ريدي وَهُمَا يُشَاهِدَانِ الْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ يَلْتَهِمُ الْعَشَاءَ الَّذِي سَرَقَاهُ بِمُنْتَهَى الذَّكَاءِ مِنَ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر. كَانَ مِنَ السَّيِّئِ جِدًّا خَسَارَةُ الْعَشَاءِ، وَلَكِنَّ الْأَسْوَأَ هُوَ أَنْ يُشَاهِدَا شَخْصًا آخَرَ يَأْكُلُهُ بَعْدَ أَنْ بَذَلَا مَجْهُودًا لِلْحُصُولِ عَلَيْهِ. زَمْجَرَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً: «سَارِقٌ!» تَوَقَّفَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ عَنِ الْأَكْلِ وَضَحِكَ بِسُخْرِيَةٍ.

زَمْجَرَ ريدي قَائِلًا: «لِصٌّ! مُتَسَلِّلٌ! جَبَانٌ!» ضَحِكَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ بِسُخْرِيَةٍ مَرَّةً ثَانِيَةً. عِنْدَمَا اخْتَفَى ذَلِكَ الْعَشَاءُ فِي حَلْقِهِ حَتَّى آخِرِ وَأَصْغَرِ كِسْرَةٍ، لَعِقَ يَدَيْهِ وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَدَّةِ وَريدي.

وَقَدْ قَالَ بِسُرُورٍ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِالْأَذَى: «إِنَّنِي مَمْنُونٌ جِدًّا لِذَلِكَ الْعَشَاءِ. كَانَ أَفْضَلَ عَشَاءٍ تَنَاوَلْتُهُ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ. اسْمَحَا لِي أَنْ أَقُولَ إِنَّ خُدْعَتَكُمَا تِلْكَ كَانَتْ أَذْكَى خُدْعَةٍ رَأَيْتُهَا بِحَيَاتِي. كَانَتْ جَدِيرَةً تَمَامًا بِذِئْبٍ. إِنَّكِ سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ فِي غَايَةِ الْبَرَاعَةِ يَا جَدَّةُ ثعلبة. وَالْآنَ أَسْمَعُ أَحَدًا قَادِمًا، وَأَقْتَرِحُ أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ لَنَا جَمِيعًا أَلَّا يُشَاهِدَنَا أَحَدٌ هُنَا.»

وَثَبَ سَرِيعًا خَلْفَ الْحَظِيرَةِ مِثْلَ شُعَاعٍ رَمَادِيٍّ، وَتَبِعَتْهُ الْجَدَّةُ وَريدي؛ لِأَنَّهُ بِالْفِعْلِ كَانَ أَحَدٌ قَادِمًا. كَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر قَدِ اكْتَشَفَ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مَا يَحْدُثُ عِنْدَ زَاوِيَةِ الْكُوخِ، وَأَحْدَثَ ضَجَّةً جَعَلَتِ السَّيِّدَةَ براون تَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ لِتَرَى مَا سَبَبُهَا. عِنْدَمَا اقْتَرَبَتْ إِلَى هُنَاكَ، كُلُّ مَا رَأَتْهُ كَانَ الْوِعَاءَ الْفَارِغَ الَّذِي كَانَ بِهِ عَشَاءُ باوزر. تَحَيَّرَتْ. لَمْ تَفْهَمْ كَيْفَ أَنَّ ذَلِكَ الْوِعَاءَ مَوْضُوعٌ فِي مَكَانِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ باوزر أَنْ يُخْبِرَهَا، رَغْمَ أَنَّهُ حَاوَلَ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ. كَانَتْ قَدْ تَحَيَّرَتْ بِشَأْنِ ذَلِكَ الْوِعَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مِنْ قَبْلُ.

لَمْ يُضَيِّعِ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ أَيَّ وَقْتٍ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى بَيْتِهِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ قَطُّ بِالرَّاحَةِ فِي الْوُجُودِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَيْتِ إِنْسَانٍ فِي وَضَحِ النَّهَارِ. ذَهَبَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة وَريدي إِلَى بَيْتِهِمَا أَيْضًا، وَكَانَ بِقَلْبَيْهِمَا كُرْهٌ؛ كُرْهٌ تُجَاهَ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ. وَلَكِنْ مَا إِنْ وَصَلَا إِلَى الْبَيْتِ، حَتَّى تَوَقَّفَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عَنِ التَّذَمُّرِ، وَبَدَأَتْ عَلَى الْفَوْرِ تَضْحَكُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا.

سَأَلَهَا ريدي: «عَلَامَ تَضْحَكِينَ؟»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَرَقَ بِهَا الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ عَشَاءَنَا.»

رَدَّ ريدي بِعُنْفٍ قَائِلًا: «إِنَّنِي أَمْقُتُهُ! إِنَّهُ لِصٌّ مُتَسَلِّلٌ!»

رَدَّتِ الْجَدَّةُ: «لَا، لَا يَا ريدي! لَا، لَا! كُنْ عَادِلًا. لَقَدْ سَرَقْنَا ذَلِكَ الطَّعَامَ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر، وَسَرَقَهُ مِنَّا الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ أَسْوَأَ مِنَّا عِنْدَمَا تُعِيدُ التَّفْكِيرَ فِي الْأَمْرِ. وَالْآنَ هَلْ هُوَ كَذَلِكَ؟»

أَقَرَّ ريدي عَلَى مَضَضٍ: «أَنَا ... أَنَا ... حَسَنًا، لَا أَظُنُّ أَنَّهُ كَذَلِكَ إِنْ فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ هَكَذَا.»

أَكْمَلَتِ الْجَدَّةُ قَائِلَةً: «وَكَانَ ذَكِيًّا، فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ، أَنْ يَغْلِبَ اثْنَيْنِ بَارِعَيْنِ مِثْلَنَا. يَجِبُ أَنْ تُقِرَّ بِذَلِكَ.»

أَجَابَ ريدي بِبُطْءٍ: «أَ...جَـ...لْ، كَانَ ذَكِيًّا جِدًّا، وَلَكِنْ ...»

قَاطَعَتْهُ الْجَدَّةُ: «لَا تَقُلْ وَلَكِنْ يَا ريدي، أَنْتَ تَعْرِفُ قَانُونَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. هُوَ أَنَّ كُلًّا يَخْدِمُ نَفْسَهُ، وَكُلَّ شَيْءٍ يَنْتَمِي لِمَنْ يَمْلِكُ الذَّكَاءَ أَوِ الْقُوَّةَ لِأَخْذِهِ. كُنَّا مِنَ الذَّكَاءِ أَنْ أَخَذْنَا الْعَشَاءَ مِنْ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر، وَكَانَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ مِنَ الذَّكَاءِ لِيَأْخُذَهُ مِنَّا، وَمِنَ الْقُوَّةِ لِيَحْتَفِظَ بِهِ. هَذَا عَادِلٌ تَمَامًا، أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْبُكَاءِ عَلَى اللَّبَنِ الْمَسْكُوبِ، كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ. بِبَسَاطَةٍ يَجِبُ عَلَيْنَا أَلَّا نَسْمَحَ لَهُ أَنْ يَخْدَعَنَا مَرَّةً ثَانِيَةً.

أَظُنُّ أَنَّنَا لَنْ نَحْصُلَ عَلَى الْمَزِيدِ مِنْ عَشَاءِ باوزر لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ. عَلَيْنَا أَنْ نَجِدَ طَرِيقَةً أُخْرَى لِنَسُدَّ بِهَا جُوعَنَا عِنْدَمَا يَقِلُّ الصَّيْدُ. أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَوْ حَصَلْتُ عَلَى إِحْدَى الدَّجَاجَاتِ السَّمِينَةِ مِنَ الْمُزَارِعِ براون، فَسَيُعِيدُ هَذَا الْقُوَّةَ لِعِظَامِي الْعَجُوزِ. حَذَّرْتُكَ طَوَالَ الصَّيْفِ مِنْ الِاقْتِرَابِ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ، وَلَكِنْ حَانَ الْوَقْتُ الْآنَ أَنْ نُحَاوِلَ الْحُصُولَ عَلَى بِضْعٍ مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ.»

نَصَبَ ريدي أُذُنَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِ الدَّجَاجَاتِ السَّمِينَةِ وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ هَذَا أَيْضًا. مَتَى يُمْكِنُنَا أَنْ نَبْدَأَ؟»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «غَدًا فِي الصَّبَاحِ. وَالْآنَ لَا تُزْعِجْنِي بَيْنَمَا أُفَكِّرُ فِي خُطَّةٍ.»

الفصل الثاني والعشرون

الْجَدَّةُ ثعلبة تُخَطِّطُ لِلْحُصُولِ عَلَى دَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ

نِصْفُ النَّجَاحِ مَضْمُونٌ
بِإِعْدَادِ خُطَّةٍ وَمَلْعُوبٍ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

تَعْلَمُ الْجَدَّةُ ثعلبة هَذَا. لَا أَحَدَ يَعْلَمُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْهَا. فَكُلُّ مَا تَفْعَلُهُ الْجَدَّةُ يَكُونُ مُخَطَّطًا لَهُ أَوَّلًا فِي رَأْسِهَا. وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ قَرَّرَتْ أَنْ تُحَاوِلَ هِيَ وَريدي الْحُصُولَ عَلَى إِحْدَى دَجَاجَاتِ الْمُزَارِعِ براون السَّمِينَةِ، اسْتَلْقَتْ لِتُفَكِّرَ فِي خُطَّةٍ لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ. لَا أَحَدَ يَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنْهَا كَيْفَ أَنَّهُ مِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ وَتُجَرِّبَ حَظَّهَا فِي الْإِمْسَاكِ بِإِحْدَى تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ. بِالطَّبْعِ يُمْكِنُ أَنْ يُحَالِفَهُمَا الْحَظُّ وَيَحْصُلَا عَلَى وَاحِدَةٍ عَنْ طَرِيقِ الصُّدْفَةِ، وَلَكِنْ أَيْضًا يُمْكِنُ أَلَّا يُحَالِفَهُمَا الْحَظُّ وَيَقَعَا فِي مَشَاكِلَ.

قَالَتْ لِريدي: «يَجِبُ أَلَّا نُخَطِّطَ فَقَطْ لِلْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ الدَّجَاجَةِ السَّمِينَةِ، وَلَكِنْ أَيْضًا كَيْفَ نُفْلِتُ بِهَا فِي أَمَانٍ. لَيْتَ هُنَاكَ وَسِيلَةً لِلدُّخُولِ إِلَى عُشَّةِ الدَّجَاجِ لَيْلًا، فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ مَتَاعِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ أَدْنَى فُرْصَةٍ لِذَلِكَ.»

أَجَابَ ريدي: «لَيْسَتْ هُنَاكَ فُرْصَةٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَا تُوجَدُ أَيُّ فَتْحَةٍ تَسَعُ حَتَّى ابْنَ الْعِرْسِ شادو لِيَدْخُلَ مِنْهَا، وَابْنُ الْمُزَارِعِ براون حَرِيصٌ جِدًّا عَلَى غَلْقِ الْبَابِ كُلَّ لَيْلَةٍ.»

بَعْدَ تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ، أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «تُوجَدُ فَتْحَةٌ صَغِيرَةٌ تَخْرُجُ وَتَدْخُلُ مِنْهَا الدَّجَاجَاتُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ، وَهِيَ فَتْحَةٌ تَسَعُ أَحَدَنَا لِيَنْزَلِقَ مِنْ خِلَالِهَا، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ.»

قَالَ ريدي: «بِالتَّأْكِيدِ! وَلَكِنَّهَا دَائِمًا تُغْلَقُ لَيْلًا. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، حَتَّى تَصِلِينَ إِلَيْهَا أَوْ حَتَّى إِلَى الْبَابِ، عَلَيْكِ بِالدُّخُولِ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، وَتُوجَدُ بَوَّابَةٌ لَهَا لَا نَسْتَطِيعُ فَتْحَهَا.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «أَحْيَانًا يَكُونُ النَّاسُ مُسْتَهْتِرِينَ ... حَتَّى أَنْتَ يَا ريدي.»

ارْتَبَكَ ريدي؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي مَشَاكِلَ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً مِنْ قَبْلُ بِسَبَبِ الِاسْتِهْتَارِ. سَأَلَهَا ريدي بِقَلِيلٍ مِنَ الْغَضَبِ: «حَسَنًا، مَاذَا عَنْ ذَلِكَ؟»

«لَا شَيْءَ، فَقَطْ إِذَا تَصَادَفَ أَنْ تُرِكَتْ بَوَّابَةُ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ تِلْكَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا تَصَادَفَ أَنْ نَسِيَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُغْلِقَ تِلْكَ الْفَتْحَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَمُرُّ مِنْهَا الدَّجَاجَاتُ، وَإِذَا تَصَادَفَ أَنْ كُنَّا مَوْجُودَيْنِ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ...»

قَاطَعَهَا ريدي: «الْكَثِيرُ مِنْ الِافْتِرَاضَاتِ لِنَحْصُلَ عَلَى وَجْبَةِ عَشَاءٍ!»

رَدَّتِ الْجَدَّةُ بِلُطْفٍ: «رُبَّمَا، وَلَكِنِّي لَاحَظْتُ أَنَّ مَنْ يَضَعُ فِي اعْتِبَارِهِ كُلَّ الِافْتِرَاضَاتِ الصَّغِيرَةِ فِي الْحَيَاةِ هُوَ مَنْ يُحَقِّقُ النَّجَاحَ. وَالْآنَ لَقَدْ رَاقَبْتُ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ تِلْكَ، وَلَاحَظْتُ أَنَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ لَا يُغْلِقُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بَابَ الْحَظِيرَةِ لَيْلًا. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بَابُ عُشَّةِ الدَّجَاجِ مُوصَدًا، فَلَا يُهِمُّ غَلْقُ الْبَوَّابَةِ. فَمَنْ يَكُونُ مُسْتَهْتِرًا فِي شَيْءٍ، يَكُونُ عَلَى الْأَرْجَحِ مُسْتَهْتِرًا فِي شَيْءٍ آخَرَ. رُبَّمَا يَنْسَى أَحْيَانًا أَنْ يُغْلِقَ تِلْكَ الْفَتْحَةَ. قُلْتُ لَكَ إِنَّنَا سَنَذْهَبُ غَدًا، وَلَكِنْ كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي الْأَمْرِ، رَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ الْأَحْكَمِ أَنْ نَزُورَ عُشَّةَ الدَّجَاجِ لِبِضْعِ لَيَالٍ قَبْلَ أَنْ نُخَاطِرَ بِمُحَاوَلَةِ الْإِمْسَاكِ بِدَجَاجَةٍ فِي وَضَحِ النَّهَارِ. فِي الْوَاقِعِ، أَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجْعَلَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَنْسَى أَنْ يُغْلِقَ تِلْكَ الْبَوَّابَةَ.»

سَأَلَ ريدي بِفُضُولٍ: «كَيْفَ؟!»

ابْتَسَمَتِ الْجَدَّةُ وَقَالَتْ: «سَأُجَرِّبُ أَوَّلًا ثُمَّ أَقُولُ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ. أَعْتَقِدُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُغْلِقُ عُشَّةَ الدَّجَاجِ مُبَاشَرَةً قَبْلَ أَنْ يَنَامَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ. أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

أَوْمَأَ ريدي بِرَأْسِهِ. فِي مَرَّاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَكَانِ اخْتِبَاءٍ آمِنٍ رَاقَبَ ريدي بِجُوعٍ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَهُوَ يُغْلِقُ الْمَكَانَ عَلَى الدَّجَاجَاتِ. كَانَ دَائِمًا قَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ الظِّلَالُ السَّوْدَاءُ زَحْفَهَا خَارِجَ مَكَانِ اخْتِبَائِهَا مُبَاشَرَةً.

قَالَتِ الْجَدَّةُ: «ظَنَنْتُ هَذَا.» الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ هَذَا. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِعُشَّةِ الدَّجَاجِ، أَوْ أَمْرٌ يَحْدُثُ هُنَاكَ إِلَّا وَكَانَتْ تَعْلَمُهُ الْجَدَّةُ تَمَامًا مِثْلَ ريدي. «ابْقَ أَنْتَ هَا هُنَا بَعْدَ ظُهْرِ هَذَا الْيَوْمِ حَتَّى أَعُودَ. سَأَرَى مَا يُمْكِنُنِي الْقِيَامُ بِهِ.»

تَوَسَّلَ ريدي: «دَعِينِي أَذْهَبْ مَعَكِ.»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ بِنَبْرَةٍ حَاسِمَةٍ جَعَلَتْ ريدي يُدْرِكُ أَنْ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ: «لَا. أَحْيَانًا يَفْعَلُ اثْنَانِ مَا لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُ بِمُفْرَدِهِ، وَأَحْيَانًا يَفْعَلُ وَاحِدٌ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْسِدَهُ اثْنَانِ. وَالْآنَ يُمْكِنُنَا أَيْضًا أَنْ نَغْفُوَ قَلِيلًا حَتَّى يَحِينَ وَقْتُ نَوْمِ قُرْصِ الشَّمْسِ. فَقَطِ اتْرُكِ الْأَمْرَ لِجَدَّتِكَ الْعَجُوزِ لِتَهْتَمَّ بِتِلْكَ الِافْتِرَاضَاتِ الْأُولَى. سَنَعْتَمِدُ عَلَى الْحَظِّ فِيمَا بَعْدُ، وَلَكِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنَا نَكُونُ أَحْيَانًا مَحْظُوظَيْنِ.»

عَقِصَتِ الْجَدَّةُ حَتَّى تَأْخُذَ قَيْلُولَةً، وَبَعْدَ مَا لَمْ يَجِدْ ريدي شَيْئًا أَفْضَلَ لِيَفْعَلَهُ، فَعَلَ مِثْلَهَا.

الفصل الثالث والعشرون

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَنْسَى أَنْ يُغْلِقَ الْبَوَّابَةَ

كَمْ مِنَ السَّهْلِ أَنْ تَنْسَى إِلَى أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانُ!
أَكْثَرُ النَّاسِ نِظَامًا أَحْيَانًا يَنْسَى حَتَّى يَفُوتَ الْأَوَانُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

لَيْسَ مِنْ عَادَةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّوْعِ كَثِيرِ النِّسْيَانِ. إِنَّهُ جَيِّدٌ جِدًّا فِي التَّذَكُّرِ. وَلَكِنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَيْسَ كَامِلًا بِأَيِّ صُورَةٍ؛ فَهُوَ يَنْسَى أَحْيَانًا، وَهُوَ مُسْتَهْتِرٌ أَحْيَانًا، وَإِلَّا فَسَيَكُونُ شَخْصًا غَرِيبًا. وَلَكِنَّهُ بِوَجْهٍ عَامٍّ رَصِينٌ وَحَذِرٌ.

إِحْدَى مَهَامِّ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون هِيَ رِعَايَةُ الدَّجَاجِ. إِنَّهَا إِحْدَى الْمَهَامِّ الَّتِي فِي مُعْظَمِ الْأَوْقَاتِ تَكُونُ مُمْتِعَةً. هُوَ يُحِبُّ الدَّجَاجَ، وَيُحِبُّ رِعَايَتَهُ. كُلَّ صَبَاحٍ، أَوَّلُ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ إِطْعَامُهُ وَفَتْحُ بَابِ عُشَّةِ الدَّجَاجِ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَنْطَلِقَ فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ إِذَا أَرَادَ. كُلَّ لَيْلَةٍ يَخْرُجُ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلَامُ مُبَاشَرَةً لِيَجْمَعَ الْبَيْضَ وَيُغْلِقَ عُشَّةَ الدَّجَاجِ؛ حَتَّى لَا يَلْحَقَ بِالدَّجَاجِ أَيُّ أَذًى وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى مَجَاثِمِهِ. بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعَاصِفَةِ الثَّلْجِيَّةِ كَانَ قَدْ أَفْسَحَ مِسَاحَةً فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ؛ حَيْثُ يَسْتَطِيعُ الدَّجَاجُ أَنْ يَخْرُجَ وَيَأْخُذَ حَمَّامَ شَمْسٍ عِنْدَمَا يُرِيدُ، وَكَانَ الدَّجَاجُ يَفْعَلُ هَذَا فِي أَكْثَرِ مَكَانٍ دَافِئٍ فِي الطِّينِ. دَائِمًا مَا كَانَ يَحْرِصُ فِي الصَّبَاحِ عَلَى أَنْ تَكُونَ بَوَّابَةُ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ مُوصَدَةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ كَمْ هِيَ جُرْأَةُ الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي حِينَ يَكُونَانِ جَائِعَيْنِ جِدًّا، وَفِي الشِّتَاءِ يَكُونَانِ أَكْثَرَ جُوعًا مُعْظَمَ الْوَقْتِ؛ لِذَا حَرَصَ عَلَى أَلَّا يُعْطِيَهُمَا فُرْصَةً لِلتَّسَلُّلِ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ

أَثْنَاءَ وُجُودِ الدَّجَاجِ بِالْخَارِجِ، وَأَلَّا يُعْطِيَ الدَّجَاجَ فُرْصَةً لِيَضِلَّ خَارِجًا؛ حَيْثُ يَكُونُ مِنَ السَّهْلِ اصْطِيَادُهُ.

وَلَكِنْ أَحْيَانًا مَا كَانَ يَتْرُكُ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً لَيْلًا، كَمَا اكْتَشَفَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة. لَقَدْ ظَنَّ أَنَّهَا لَنْ تُحْدِثَ فَارِقًا مَا دَامَ الدَّجَاجُ مَحْبُوسًا فِي بَيْتِهِ الدَّافِئِ؛ وَمِنْ ثَمَّ فِي أَمَانٍ، عَلَى كُلِّ حَالٍ.

فِي نِهَايَةِ عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَحَدَّثَتْ فِيهِ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي عَنْ خُطَّةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى إِحْدَى الدَّجَاجَاتِ السَّمِينَاتِ؛ قَامَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِجَمْعِ الْبَيْضِ، وَتَأَكَّدَ أَنَّ الدَّجَاجَ ذَهَبَ إِلَى مَجَاثِمِهِ لَيْلًا. كَانَ قَدْ بَدَأَ لِتَوِّهِ فِي غَلْقِ الْبَابِ الْجَرَّارِ الصَّغِيرِ لِتِلْكَ الْفَتْحَةِ الَّتِي يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ مِنْ خِلَالِهَا الدَّجَاجُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ حِينَ بَدَأَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر فِي إِحْدَاثِ ضَجَّةٍ، كَأَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ بِشَكْلٍ رَهِيبٍ حِيَالَ أَمْرٍ مَا.

دَفَعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْبَابَ الْجَرَّارَ الصَّغِيرَ مُتَسَرِّعًا، وَالْتَقَطَ سَلَّةَ الْبَيْضِ خَاصَّتَهُ، وَأَغْلَقَ بَابَ عُشَّةِ الدَّجَاجِ، وَأَسْرَعَ خَارِجَ الْبَوَّابَةِ دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفَ لِيُوصِدَهَا. لَقَدْ كَانَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ لِكَيْ يَرَى مَا كَانَ سَبَبَ الضَّجَّةِ الَّتِي أَحْدَثَهَا باوزر. كَانَ باوزر يَنْبَحُ وَيَعْوِي وَيَجُرُّ سِلْسِلَتَهُ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يَتُوقُ إِلَى أَنْ يُفَكَّ قَيْدُهُ.

سَأَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون باوزر وَهُوَ يُرَبِّتُ عَلَى رَأْسِهِ: «مَا الْأَمْرُ أَيُّهَا الْعَجُوزُ باوزر؟ هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا مَا؟ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفُكَّ قَيْدَكَ؛ لِأَنَّكَ عَلَى الْأَرْجَحِ سَتَنْطَلِقُ لِلصَّيْدِ طَوَالَ اللَّيْلِ وَتَأْتِي فِي الصَّبَاحِ مُتْعَبًا وَمُنْهَكًا. أَيًّا كَانَ، أَظُنُّكَ قَدْ أَخَفْتَهُ لِسَنَةٍ قَادِمَةٍ أَيُّهَا الْعَجُوزُ؛ لِذَا فَلْنَكْتَفِ بِهَذَا الْقَدْرِ.»

ظَلَّ باوزر يَجُرُّ سِلْسِلَتَهُ وَيَعْوِي، وَلَكِنْ بَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَ يَهْدَأُ. نَظَرَ سَيِّدُهُ حَوْلَهُ خَلْفَ الْحَظِيرَةِ لِيَرَى مَا الَّذِي أَثَارَ باوزر، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَيَّ شَيْءٍ، ثُمَّ عَادَ وَرَبَّتَ عَلَى باوزر مَرَّةً ثَانِيَةً وَدَخَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ، دُونَ أَنْ يُفَكِّرَ فِي بَوَّابَةِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْمَفْتُوحَةِ.

بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ انْضَمَّتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ إِلَى الثَّعْلَبِ ريدي الَّذِي كَانَ بِانْتِظَارِهَا عِنْدَ عَتَبَةِ مَنْزِلِهِمَا. قَالَتْ لَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ يَا ريدي؛ تِلْكَ الْبَوَّابَةُ مَفْتُوحَةٌ.»

سَأَلَهَا ريدي بِلَهْفَةٍ: «كَيْفَ فَعَلْتِهَا يَا جَدَّتِي؟»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «بِكُلِّ سُهُولَةٍ. جَعَلْتُ باوزر يَلْمَحُنِي حِينَ كَانَ سَيِّدُهُ يُغْلِقُ بَيْتَ الدَّجَاجِ. أَحْدَثَ باوزر ضَجَّةً كَبِيرَةً، وَبِالطَّبْعِ أَسْرَعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون خَارِجًا لِيَرَى مَا الْأَمْرُ. كَانَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُغْلِقْ تِلْكَ الْبَوَّابَةَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ نَسِيَ أَمْرَهَا، أَوْ ظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ يُغْلِقَهَا. بِالطَّبْعِ، لَمْ أَدَعْهُ يَلْمَحُنِي.»

قَالَ ريدي: «بِالطَّبْعِ.»

الفصل الرابع والعشرون

زِيَارَةُ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ يُحَاوِلُ وَيُحَاوِلُ،
هُوَ مَنْ يَنْجَحُ بَعْدَ أَنْ يُعَافِرَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

بَدَا لِلثَّعْلَبِ ريدي أَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَمُرَّ بِهَذَا الْبُطْءِ مِنْ قَبْلُ مِثْلَمَا مَرَّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، بَيْنَمَا انْتَظَرَ هُوَ وَالْجَدَّةُ ثعلبة حَتَّى شَعَرَتِ الْجَدَّةُ أَنَّ الْوَقْتَ آمَنُ لِزِيَارَةِ عُشَّةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَلِلْبَحْثِ عَنْ أَيِّ فُرْصَةٍ لِدُخُولِهَا. حَاوَلَ ريدي أَلَّا يَأْمُلَ كَثِيرًا. وَجَدَتِ الْجَدَّةُ طَرِيقَةً لِفَتْحِ بَوَّابَةِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يُفِيدَ إِنْ لَمْ يَجِدَا طَرِيقَةً لِدُخُولِ الْعُشَّةِ، وَهَذَا مَا شَكَّ فِيهِ ريدي لِلْغَايَةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ طَرِيقَةٌ فَهُوَ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَهَا، وَانْتَظَرَ بِفَارِغِ الصَّبْرِ حَتَّى يَبْدَآ.

وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهَا. لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ جَائِعَةً مِثْلَ ريدي، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ حَكِيمَةً وَذَكِيَّةً وَمَاكِرَةً بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعْنًى؛ لِذَا لَمْ تُخَاطِرْ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

قَالَتْ: «لَا يُوجَدُ نَفْعٌ مِنْ أَنْ نَكُونَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا يَا ريدي، وَكَثِيرًا مَا تُوجَدُ خَسَارَةٌ فِي ذَلِكَ. سَيَكُونُ مَذَاقُ دَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ جَيِّدًا جِدًّا لَاحِقًا، تَمَامًا مِثْلَمَا سَيَكُونُ الْآنَ، وَسَيَكُونُ مِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون قَبْلَ أَنْ نَتَأَكَّدَ أَنَّ كُلَّ مَنْ هُنَاكَ نَائِمُونَ. وَلَكِنْ لِأُرِيحَ عَقْلَكَ سَأَقُولُ لَكَ مَاذَا سَنَفْعَلُ؛ سَنَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى بَيْتَ الْمُزَارِعِ براون، وَنُرَاقِبُ آخِرَ ضَوْءٍ يَنْطَفِئُ.»

هَكَذَا ذَهَبَا إِلَى بُقْعَةٍ حَيْثُ يَسْتَطِيعَانِ رُؤْيَةَ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون، وَهُنَاكَ جَلَسَا لِيُرَاقِبَا. بَدَا لِريدي أَنَّ تِلْكَ الْأَضْوَاءَ لَنْ تَنْطَفِئَ أَبَدًا. وَلَكِنْ أَخِيرًا انْطَفَأَتْ.

قَفَزَ وَاقِفًا وَقَالَ: «هَيَّا يَا جَدَّتِي!»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ: «لَيْسَ بَعْدُ يَا ريدي، لَيْسَ بَعْدُ. عَلَيْنَا أَنْ نُمْهِلَ أَهْلَ الْبَيْتِ بَعْضَ الْوَقْتِ لِكَيْ يَنَامُوا نَوْمًا عَمِيقًا. إِذَا تَمَكَّنَّا مِنْ دُخُولِ عُشَّةِ الدَّجَاجِ، قَدْ يُحْدِثُ ذَلِكَ الدَّجَاجُ ضَجِيجًا، وَإِذَا حَدَثَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ يَجِبُ أَنْ نَكُونَ مُتَأَكِّدَيْنِ مِنْ أَنَّ الْمُزَارِعَ براون وَابْنَهُ نَائِمَانِ.»

كَانَتْ تِلْكَ نَصِيحَةً مَوْثُوقًا بِهَا، وَكَانَ ريدي يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ لِذَا رَمَى نَفْسَهُ ثَانِيَةً عَلَى الثَّلْجِ مُتَأَوِّهًا يَنْتَظِرُ. وَأَخِيرًا قَامَتِ الْجَدَّةُ وتَمطَّتْ وَنَظَرَتْ إِلَى أَعْلَى، إِلَى النُّجُومِ الْمُتَلَأْلِئَةِ. قَالَتْ وَهِيَ تَقُودُ الطَّرِيقَ: «هَيَّا بِنَا.»

تَسَلَّلَا خَلْفَ الْحَظِيرَةِ وَحَوْلَهَا، دُونَ أَنْ يُصْدِرَا أَيَّ صَوْتٍ مُطْلَقًا مِثْلَ الظِّلَالِ. سَمِعَا كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر يَتَنَهَّدُ فِي نَوْمِهِ فِي بَيْتِهِ الصَّغِيرِ الدَّافِئِ، وَضَحِكَ كُلٌّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ. تَسَلَّلَا بِصَمْتٍ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ. كَانَتِ الْبَوَّابَةُ مَفْتُوحَةً، تَمَامًا مِثْلَمَا أَخْبَرَتِ الْجَدَّةُ ريدي. تَسَلَّلَا بِسُرْعَةٍ عَبْرَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ، مُتَّجِهَيْنِ إِلَى حَيْثُ رَأَيَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي النَّهَارِ الدَّجَاجَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ مِنْ خِلَالِ فَتْحَةٍ صَغِيرَةٍ. كَانَتِ الْفَتْحَةُ مُغْلَقَةً، وكَانَ ريدي مُتَوَقِّعًا ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ شَعَرَ بِخَيْبَةِ أَمَلٍ كَبِيرَةٍ. نَظَرَ إِلَيْهَا مُجَرَّدَ نَظْرَةٍ خَاطِفَةٍ.

قَالَ بِنِصْفِ نَبْحَةٍ: «كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا لَنْ تُفْلِحَ.»

وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ لَمْ تُعِرْهُ أَيَّ اهْتِمَامٍ. اقْتَرَبَتْ مِنَ الْفَتْحَةِ وَدَفَعَتِ الْبَابَ الصَّغِيرَ الَّذِي يُغْلِقُهَا. لَمْ يَتَحَرَّكْ. ثُمَّ لَاحَظَتْ أَنَّ هُنَاكَ فُرْجَةً صَغِيرَةً عَلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ. حَاوَلَتْ أَنْ تُدْخِلَ أَنْفَهَا فِيهَا، وَلَكِنَّ الْفُرْجَةَ كَانَتْ ضَيِّقَةً جِدًّا. ثُمَّ حَاوَلَتْ بِيَدِهَا. أَدْخَلَتْ أَحَدَ مَخَالِبِهَا بِحَافَةِ الْبَابِ، فَتَحَرَّكَ قَلِيلًا جِدًّا، فَعَلِمَتِ الْجَدَّةُ أَنَّ الْبَابَ لَيْسَ مُوصَدًا. تَمَدَّدَتِ الْجَدَّةُ مُنْبَسِطَةً عَلَى الْأَرْضِ وَهَمَّتْ بِالْعَمَلِ؛ أَوَّلًا بِيَدٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ بِالْأُخْرَى. قَبْلَ وَقْتٍ طَوِيلٍ، أَدْخَلَتْ مَخَالِبَهَا فِيهِ ثَانِيَةً، فَتَحَرَّكَ قَلِيلًا. بِكُلِّ تَأْكِيدٍ هَذَا الْبَابُ لَيْسَ مُوصَدًا، وَأَصْبَحَتِ الْفُرْجَةُ أَوْسَعَ بِقَلِيلٍ.

سَأَلَ ريدي بِغَضَبٍ: «فِيمَ تُضَيِّعِينَ وَقْتَكِ هُنَاكَ؟ مِنَ الْأَفْضَلِ بِنَا أَنْ نَنْطَلِقَ لِلصَّيْدِ إِذَا كُنَّا سَنَتَنَاوَلُ أَيَّ شَيْءٍ اللَّيْلَةَ.»

لَمْ تَقُلِ الْجَدَّةُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا تَابَعَتْ عَمَلَهَا. لَقَدِ اكْتَشَفَتْ أَنَّ هَذَا بَابٌ جَرَّارٌ. وَأَصْبَحَتِ الْآنَ الْفُرْجَةُ وَاسِعَةً بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِتُدْخِلَ أَنْفَهَا بِهَا. ثُمَّ دَفَعَتْ رَأْسَهَا وَلَوَتْهَا فِي هَذَا الِاتِّجَاهِ وَذَاكَ. انْزَلَقَ الْبَابُ الصَّغِيرُ قَلِيلًا إِلَى الْوَرَاءِ، وَعِنْدَمَا أَدَارَ ريدي وَجْهَهُ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهَا، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَعْطَاهَا ظَهْرَهُ، لَمْ يَجِدْهَا. فَتَحَ ريدي فَاهُ بِحَمَاقَةٍ. لَمْ تَكُنِ الْجَدَّةُ هُنَاكَ، وَلَكِنْ كَانَتْ هُنَاكَ فُرْجَةٌ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمَلُ فِيهِ، وَمِنْهُ خَرَجَتْ أَطْيَبُ رَائِحَةٍ؛ رَائِحَةُ الدَّجَاجِ السَّمِينِ! بَدَا لِريدي أَنَّ مَعِدَتَهُ تَتَخَبَّطُ مِنَ اللَّهْفَةِ. فَرَكَ عَيْنَيْهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ مُسْتَيْقِظٌ. ثُمَّ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ كَانَ هُوَ نَفْسُهُ دَاخِلَ تِلْكَ الْفُرْجَةِ.

هَمَسَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ: «صَهٍ! لَا تَتَحَرَّكْ!»

الفصل الخامس والعشرون

عَشَاءٌ لِاثْنَيْنِ

الْأَفْعَالُ الْخَبِيثَةُ تَتِمُّ فِي اللَّيْلِ السَّاكِنِ،
وَلَنْ يَدْرِيَ بِكُنْهِهَا أَيُّ كَائِنٍ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

الْأَمْرُ يَعْتَمِدُ عَلَى مَنْظُورِكَ لِلْأَشْيَاءِ. بِالطَّبْعِ، لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِ الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي أَنْ يُوجَدَا فِي عُشَّةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ، أَوْ فِي أَيِّ وَقْتٍ آخَرَ. بِمَعْنًى آخَرَ: إِنَّهُ فِي نَظَرِ الْمُزَارِعِ براون لَا يُوجَدُ سَبَبٌ لِوُجُودِهِمَا هُنَاكَ. كَانَ سَيَدْعُوهُمَا بِلِصَّيْنِ أَحْمَرَيْنِ. رُبَّمَا هَذَا مَا كَانَا عَلَيْهِ بِالضَّبْطِ. وَلَكِنْ إِذَا نَظَرْنَا لِلْأَمْرِ مِنْ وُجْهَةِ نَظَرِهِمَا، فَلَسْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ هَذَا. بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي، تِلْكَ الدَّجَاجَاتُ هِيَ مُجَرَّدُ طُيُورٍ غَبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَرَائِعَةٍ لِلْأَكْلِ إِذَا تَمَّ اصْطِيَادُهَا، وَمَحْتُومٍ عَلَيْهَا أَنْ يَأْكُلَهَا أَحَدٌ. حَقًّا إِنَّ كَوْنَهَا فِي عُشَّةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون لَا يَجْعَلُهَا مِلْكًا لَهُ، مِثْلَمَا لَا يَجْعَلُ وُجُودُ السَّيِّدَةِ طيهوجة فِي قِطْعَةٍ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا الْمُزَارِعُ براون، مِلْكًا لَهُ.

فَكَمَا تَرَوْنَ، لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِ الْغَابَةِ وَالْمَرْجِ الصَّغِيرِ مَا يُسَمَّى بِحُقُوقِ الْمِلْكِيَّةِ، فِيمَا عَدَا أَمَاكِنَ التَّخْزِينِ، وَلِأَنَّ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ كَانَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لَمْ يَبْدُ لِلْجَدَّةِ وَريدي أَنَّ عُشَّةَ الدَّجَاجِ بِمَنْزِلَةِ مَكَانٍ لِلتَّخْزِينِ. لَمْ يَكُنْ لِيُشَكِّلَ أَيَّ فَارِقٍ إِذَا بَدَتْ كَذَلِكَ. وَمِنَ الصَّوَابِ تَمَامًا بَيْنَ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةِ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ مَكَانِ تَخْزِينِ شَخْصٍ آخَرَ إِذَا كَانَ لَدَيْكَ الذَّكَاءُ الْكَافِي لِلْعُثُورِ عَلَيْهِ وَكُنْتَ حَقًّا تَحْتَاجُ إِلَى الطَّعَامِ.

إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، عَلِمَتِ الْجَدَّةُ وَريدي أَنَّ الْمُزَارِعَ براون وَابْنَهُ سَيَأْكُلَانِ بَعْضًا مِنْ تِلْكَ الدَّجَاجَاتِ هُمَا أَنْفُسُهُمَا، وَلَنْ يَحْتَاجَا إِلَيْهَا بَعْدُ مِثْلَ الْجَدَّةِ وَريدي. لِذَا حِينَ نَظَرَا إِلَى الْأَمْرِ، لَمْ يَجِدَا خَطَأً فِي الْوُجُودِ بِعُشَّةِ الدَّجَاجِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. كَانَا هُنَاكَ لِأَنَّهُمَا بِبَسَاطَةٍ كَانَا فِي احْتِيَاجٍ شَدِيدٍ جِدًّا لِلطَّعَامِ، وَكَانَ الطَّعَامُ هُنَاكَ.

حَدَّقَا النَّظَرَ عَالِيًا إِلَى الْمَجَاثِمِ حَيْثُ اجْتَمَعَتِ الدَّجَاجَاتُ مَعًا وَهِيَ نَائِمَةٌ. كَانَتْ عَلَى ارْتِفَاعٍ كَبِيرٍ جِدًّا، وَلَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى بَعْدَ أَنْ وَقَفَ ريدي وَالْجَدَّةُ عَلَى قَوَائِمِهِمَا الْخَلْفِيَّةِ وَتَمَدَّدَا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

قَالَ ريدي وَهُوَ يَلْعَقُ شَفَتَيْهِ مِنَ الْجُوعِ: «لَا بُدَّ أَنْ نُوقِظَهَا وَنُفْزِعَهَا لِكَيْ يَطِيرَ بَعْضٌ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ السَّخِيفَةِ إِلَى الْأَسْفَلِ؛ حَيْثُ نَسْتَطِيعُ الْإِمْسَاكَ بِهَا.»

قَاطَعَتْهُ الْجَدَّةُ: «هَذَا لَنْ يُجْدِيَ عَلَى الْإِطْلَاقِ! فَإِنَّهَا سَتُحْدِثُ جَلَبَةً كَبِيرَةً وَتُوقِظُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر، وَسَيُوقِظُ هُوَ سَيِّدَهُ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا يَجِبُ أَلَّا نَفْعَلَهُ إِذَا كُنَّا نَأْمُلُ فِي الْمَجِيءِ هُنَا مُجَدَّدًا. ظَنَنْتُكَ أَعْقَلَ مِنْ هَذَا يَا ريدي.»

بَدَا ريدي خَجُولًا وَدَمْدَمَ: «حَسَنًا، إِذَا لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ، فَكَيْفَ سَنَحْصُلُ عَلَيْهَا؟ لَا نَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ.»

قَاطَعَتْهُ الْجَدَّةُ: «امْكُثْ هَا هُنَا حَيْثُ أَنْتَ، وَانْتَبِهْ أَلَّا تُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ.»

ثُمَّ قَفَزَتِ الْجَدَّةُ بِخِفَّةٍ إِلَى رَفٍّ صَغِيرٍ أَمَامَ الْمَفَارِخِ. مِنْ هُنَا اسْتَطَاعَتِ الْوُصُولَ لِلْمَجْثَمِ السُّفْلِيِّ حَيْثُ تَنَامُ أَرْبَعُ دَجَاجَاتٍ سَمِينَاتٍ. دَفَعَتْ رَأْسَهَا رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا وَأَبْعَدَتْهُمَا إِحْدَاهُمَا عَنِ الْأُخْرَى. عَارَضَتَاهَا وَهُمَا نَائِمَتَانِ وَتَحَرَّكَتَا قَلِيلًا. اسْتَمَرَّتِ الْجَدَّةُ فِي الْمُبَاعَدَةِ بَيْنَهُمَا. وَأَخِيرًا مَدَّتْ إِحْدَاهُمَا رَأْسَهَا لِتَرَى مَا الَّذِي يَدْفَعُهَا. مِثْلَ الْبَرْقِ أَمْسَكَتِ الْجَدَّةُ بِتِلْكَ الرَّأْسِ، وَلَمْ تَعْرِفِ الدَّجَاجَةُ مُطْلَقًا مَا الَّذِي أَيْقَظَهَا، وَلَمْ تَحْظَ بِفُرْصَةٍ لِإِيقَاظِ الْأُخْرَيَاتِ.

بَعْدَ أَنْ أَوْقَعَتِ الْجَدَّةُ تِلْكَ الدَّجَاجَةَ عِنْدَ أَقْدَامِ ريدي، دَفَعَتْ بِأُخْرَى حَتَّى فَعَلَتْ نَفْسَ الشَّيْءِ، وَحَدَثَ الْأَمْرُ نَفْسُهُ مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ قَفَزَتِ الْجَدَّةُ بِخِفَّةٍ لِأَسْفَلَ، وَالْتَقَطَتْ إِحْدَى الدَّجَاجَتَيْنِ مِنَ الرَّقَبَةِ، وَأَلْقَتْ بِجِسْمِهَا عَلَى كَتِفِهَا، وَقَالَتْ لِريدي أَنْ يَفْعَلَ نَفْسَ الشَّيْءِ بِالْأُخْرَى وَيَنْطَلِقَ إِلَى الْمَنْزِلِ.

دَمْدَمَ ريدي: «أَلَنْ تَأْتِيَ بِالْمَزِيدِ وَنَحْنُ لَدَيْنَا الْفُرْصَةُ؟»

رَدَّتِ الْجَدَّةُ بِحَسْمٍ: «هَذَا يَكْفِي. لَقَدْ حَصَلْنَا عَلَى عَشَاءٍ لِاثْنَيْنِ، وَحَتَّى الْآنَ لَا يُوجَدُ مَنْ هُوَ أَحْكَمُ مِنَّا. رُبَّمَا لَنْ يَشْعُرَ أَحَدٌ بِفُقْدَانِ هَاتَيْنِ الِاثْنَتَيْنِ، وَسَنَحْظَى بِفُرْصَةٍ لِلْحُصُولِ عَلَى الْمَزِيدِ لَيْلَةً أُخْرَى. وَالْآنَ تَعَالَ.»

هَذَا كَانَ مَنْطِقِيًّا جِدًّا، وَكَانَ ريدي يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ لِذَا مِنْ دُونِ كَلِمَةٍ أُخْرَى تَبِعَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ إِلَى الْخَارِجِ مِنْ نَفْسِ الطَّرِيقِ الَّذِي دَخَلَا مِنْهُ، ثُمَّ إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ أَفْضَلُ عَشَاءٍ حَصَلَ عَلَيْهِ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ.

الفصل السادس والعشرون

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُعِدُّ فَخًّا

الْمَشَاكِلُ تَأْتِي غَالِبًا لَا مِنَ الشَّغَبِ،
بَلْ مِنَ الْإِهْمَالِ؛ مِنْ شَخْصٍ قَدْ غَفَلَ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

أَمَلَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة أَلَّا يَشْعُرَ أَحَدٌ بِفُقْدَانِ الدَّجَاجَتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَرَقَتْهُمَا هِيَ وَريدي مِنْ بَيْتِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مَا حَدَثَ؛ فَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي حِينَ ذَهَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِيُطْعِمَ الدَّجَاجَ، اكْتَشَفَ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ الْبَابَ الْجَرَّارَ الصَّغِيرَ الَّذِي كَانَ يَجِبُ أَنْ يُغْلِقَ الْفَتْحَةَ الَّتِي يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ مِنْهَا الدَّجَاجُ كَانَ مَفْتُوحًا، وَحِينَهَا تَذَكَّرَ أَنَّهُ تَرَكَ بَوَّابَةَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ مَفْتُوحَةً اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ. فَحَصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْفَتْحَةَ ذَاتَ الْبَابِ الْجَرَّارِ بِإِمْعَانٍ.

قَالَ وَهُوَ يَحْمِلُ شَعْرَتَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ وَجَدَهُمَا عَلَى حَافَةِ الْبَابِ: «هَا! هَذَا مَا تَوَقَّعْتُهُ. كُنْتُ مُهْمِلًا لَيْلَةَ أَمْسِ وَلَمْ أُوصِدْ هَذَا الْبَابَ، وَتَرَكْتُ الْبَوَّابَةَ مَفْتُوحَةً. أَتَى الثَّعْلَبُ ريدي إِلَى هُنَا، وَالْآنَ أَعْلَمُ مَاذَا حَلَّ بِهَاتَيْنِ الدَّجَاجَتَيْنِ. أَظُنُّ أَنَّ هَذَا جَزَائِي عَلَى إِهْمَالِي، وَأَظُنُّ أَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّ هَاتَيْنِ الدَّجَاجَتَيْنِ كَانَتَا ذَوَاتَيْ قِيمَةٍ كَبِيرَةٍ لَهُ أَكْثَرَ مِنْهَا لِي؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا الْمِسْكِينَ يَقُومُ بِعَمَلٍ شَاقٍّ لِلْغَايَةِ لِيَبْقَى عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الصَّعْبَةِ مِنَ الشِّتَاءِ. مَعَ ذَلِكَ، لَا أَسْتَطِيعُ السَّمَاحَ لَهُ بِالسَّرِقَةِ بَعْدَ ذَلِكَ. لَنْ يَنْفَعَ ذَلِكَ أَبَدًا. إِذَا أَغْلَقْتُ عَلَيْهَا الْبَابَ كُلَّ لَيْلَةٍ وَلَمْ أَكُنْ مُهْمِلًا، فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْحُصُولَ عَلَيْهَا. وَلَكِنَّ الْحَوَادِثَ تَقَعُ، وَقَدْ أَفْعَلُ مَا فَعَلْتُهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ؛ أَظُنُّ أَنَّنِي قَدْ أَوْصَدْتُ الْبَابَ مَعَ أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ. لَا أَوَدُّ

أَنْ أَضَعَ فَخًّا لِريدي، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ أُلَقِّنَ هَذَا الْوَغْدَ دَرْسًا. إِنْ لَمْ أَفْعَلْ، فَسَيَتَجَرَّأُ كَثِيرًا حَتَّى لَنْ تُصْبِحَ تِلْكَ الدَّجَاجَاتُ فِي أَمَانٍ حَتَّى فِي وَضَحِ النَّهَارِ.»

وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا، كَانَتِ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي فِي بَيْتِهِمَا يُنَاقِشَانِ خُطَطَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَكَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الْمَاهِرَةُ تُشِيرُ إِلَى أَهَمِّيَّةِ بَقَائِهِمَا بَعِيدًا عَنْ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ. قَالَتْ: «لَقَدْ حَصَلْنَا عَلَى عَشَاءٍ شَهِيٍّ، بَلْ عَشَاءٍ رَائِعٍ، وَإِذَا كُنَّا عَلَى قَدْرٍ كَافٍ مِنَ الذَّكَاءِ، فَقَدْ نَتَمَكَّنُ مِنَ الْحُصُولِ عَلَى الْمَزِيدِ مِنْ وَجَبَاتِ الْعَشَاءِ مِنْ حَيْثُ أَتَيْنَا بِذَلِكَ الْعَشَاءِ، وَلَكِنْ بِالطَّبْعِ لَنْ نَتَمَكَّنَ مِنْ هَذَا إِذَا كُنَّا طَمَّاعَيْنِ.»

انْتَحَبَ ريدي قَائِلًا: «وَلَكِنِّي لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون شَعَرَ بِفُقْدَانِ هَاتَيْنِ الدَّجَاجَتَيْنِ، وَلَا أَرَى أَيَّ سَبَبٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِئَلَّا نَعُودَ إِلَى هُنَاكَ اللَّيْلَةَ وَنَحْصُلَ عَلَى اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ إِذَا كَانَ هُوَ بِهَذَا الْغَبَاءِ أَنْ يَتْرُكَ تِلْكَ الْبَوَّابَةَ وَالْبَابَ الصَّغِيرَ مَفْتُوحَيْنِ.»

قَاطَعَتْهُ الْجَدَّةُ: «رُبَّمَا لَمْ يَلْحَظْ غِيَابَهُمَا، وَلَكِنْ إِنْ أَخَذْنَا اثْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ فَسَوْفَ يُلَاحِظُ بِالتَّأْكِيدِ، وَسَوْفَ يَحْزِرُ مَاذَا حَلَّ بِهِمَا، وَذَلِكَ قَدْ يُوقِعُنَا فِي مَشَاكِلَ لَا نِهَايَةَ لَهَا. لَسْنَا نَتَضَوَّرُ جُوعًا الْآنَ، وَأَفْضَلُ شَيْءٍ لَنَا هُوَ أَنْ نَبْتَعِدَ عَنْ عُشَّةِ الدَّجَاجِ إِلَى أَلَّا نَجِدَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ لِلْأَكْلِ فِي مَكَانٍ آخَرَ. وَالْآنَ انْتَبِهْ إِلَى مَا أَقُولُهُ لَكَ يَا ريدي، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنْ هُنَاكَ.»

تَعَهَّدَ ريدي بِذَلِكَ. وَمِنْ هُنَا نَصَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فَخًّا، وَلَكِنْ هَبَاءً حَتَّى الْآنَ؛ حَيْثُ إِنَّ ريدي وَالْجَدَّةَ لَا يَذْهَبَانِ إِلَى هُنَاكَ. رَبَطَ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ شَرَائِطَ مِنَ الْقُمَاشِ حَوْلَ فَكِّ الْفَخِّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَمِلْ فِكْرَةَ أَنْ يَقْطَعَ ذَلِكَ الْفَكُّ الْقَاسِي أَرْجُلَ ريدي إِذَا تَمَّ الْإِمْسَاكُ بِهِ. هَكَذَا، لَمْ يَنْتَوِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يَقْتُلَ ريدي إِذَا أَمْسَكَ بِهِ، وَلَكِنْ أَنْ يَجْعَلَهُ سَجِينًا لِبَعْضِ الْوَقْتِ؛ وَبِهَذَا يُبْعِدُهُ عَنِ الْأَذَى. فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَخْفَى الْفَخَّ بِكِيَاسَةٍ شَدِيدَةٍ دَاخِلَ عُشَّةِ الدَّجَاجِ؛ بِحَيْثُ يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ أَيَّ أَحَدٍ يَتَسَلَّلُ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْفَتْحَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَخْرُجُ وَتَدْخُلُ مِنْهَا الدَّجَاجَاتُ يَخْطُو بِدَاخِلِهِ. ثُمَّ تَرَكَ عَنْ عَمْدٍ الْبَابَ الْجَرَّارَ الصَّغِيرَ نِصْفَ مَفْتُوحٍ كَأَنَّهُ مَنْسِيٌّ، وَأَيْضًا تَرَكَ بَوَّابَةَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ مَفْتُوحَةً تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلَ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ.

قَالَ وَهُوَ يُكَلِّمُ نَفْسَهُ: «الْآنَ أَيُّهَا السَّيِّدُ ريدي أَظُنُّ أَنَّكَ سَتَقَعُ فِي مُشْكِلَةٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ.»

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ ريدي كَانَ سَيَفْعَلُ هَذَا بِالضَّبْطِ، لَوْلَا حِكْمَةُ الْجَدَّةِ الْعَجُوزِ الْمَاكِرَةِ.

الفصل السابع والعشرون

الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي يَأْخُذُ حَمَّامَ شَمْسٍ

يَأْتِي الْخَطَرُ حِينَ لَا تَتَوَقَّعُهُ؛
كَثِيرًا مَا يَكُونُ قَرِيبًا حِينَ لَا تَتَوَقَّعُهُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

انْقَضَى الشِّتَاءُ الْقَاسِي الطَّوِيلُ، وَحَلَّ الرَّبِيعُ. نَزَلَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي مِنْ شَجَرَةِ حَوْرٍ طَوِيلَةٍ وتَمَطَّى بِبُطْءٍ. كَانَ قَدْ مَلَّ مِنَ الْأَكْلِ. كَانَ مُرْهَقًا مِنَ التَّأَرْجُحِ فِي أَعْلَى الشَّجَرَةِ.

قَالَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي: «سَآخُذُ حَمَّامَ شَمْسٍ.» وَمَشَى بِتَكَاسُلٍ نَحْوَ حَافَةِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ بَاحِثًا عَنْ مَكَانٍ تَبْسُطُ فِيهِ الشَّمْسُ أَشِعَّتَهَا الدَّافِئَةَ الْمُنِيرَةَ.

كَانَتْ مَعِدَةُ الشَّيْهَمِ بريكلي بوركي مُتْخَمَةً جِدًّا جِدًّا. كَانَ سَمِينًا، وَبِالْفِطْرَةِ كَسُولًا؛ لِذَلِكَ حِينَ أَتَى لِعَتَبَةِ بَابٍ قَدِيمٍ عِنْدَ حَافَةِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ جَلَسَ لِيَسْتَرِيحَ. كَانَ الْمَكَانُ مُشْمِسًا وَدَافِئًا، وَكُلَّمَا أَطَالَ جُلُوسَهُ شَعَرَ بِعَدَمِ الرَّغْبَةِ فِي الْحَرَكَةِ. نَظَرَ حَوْلَهُ بِعَيْنَيْهِ الْكَسُولَتَيْنِ وَقَبَعَ.

قَالَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي لِنَفْسِهِ: «إِنَّهُ بَيْتٌ مَهْجُورٌ. لَا أَحَدَ يَسْكُنُ هُنَا، وَأَظُنُّ أَنَّهُ لَنْ يُمَانِعَ أَحَدٌ إِذَا أَخَذْتُ قَيْلُولَةً هُنَا عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ.» ثُمَّ اسْتَطْرَدَ: «وَلَا أَكْتَرِثُ إِذَا مَانَعَ.» لِأَنَّ الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي لَمْ يَخْشَ أَحَدًا أَوْ شَيْئًا.

لِذَا ارْتَاحَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي نَفْسُهُ عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ، وَتَثَاءَبَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَغْمِزَ إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرِ الْمَرِحِ الَّذِي كَانَ يَغْمِزُ إِلَيْهِ وَيَضْحَكُ لَهُ، ثُمَّ غَطَّ فِي النَّوْمِ عَلَى الْفَوْرِ عِنْدَ عَتَبَةِ بَابِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ.

وَكَانَ الْبَيْتُ الْقَدِيمُ مَهْجُورًا. لَمْ يَسْكُنْ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ جِدًّا بِالْفِعْلِ. وَلَكِنْ حَدَثَ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَنِ اضْطُرَّتِ الْجَدَّةُ وَالثَّعْلَبُ ريدي لِلرَّحِيلِ مِنْ بَيْتِهِمَا عِنْدَ حَافَةِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ لِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ قَدْ وَجَدَهُ. كَانَ ريدي فِي غَايَةِ التَّيَبُّسِ وَالْأَلَمِ؛ فَقَدْ أُصِيبَ بِطَلْقَةٍ مِنْ صَيَّادٍ. كَانَ مُتَأَلِّمًا لِدَرَجَةٍ مَنَعَتْهُ مِنَ الْمَشْيِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الذَّهَابَ بَعِيدًا؛ لِذَا اقْتَادَتْهُ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَهْجُورِ الْقَدِيمِ، وَوَضَعَتْهُ فِي السَّرِيرِ هُنَاكَ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ وَهِيَ تُرِيحُ ريدي قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ: «لَنْ يُفَكِّرَ أَحَدٌ فِي وُجُودِنَا هُنَا؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْكُنُ هُنَا.»

حَالَمَا جَاءَ الْفَجْرُ، خَرَجَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة خِلْسَةً لِتُرَاقِبَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَكِّدَةً أَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي تَرَكَاهُ، وَبِالْفِعْلِ عَادَ. أَحْضَرَ مِجْرَفَةً وَحَفَرَ فِي مَكَانِ الْبَيْتِ، وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تُرَاقِبُهُ مِنْ وَرَاءِ زَاوِيَةِ سِيَاجٍ، وَتَضْحَكُ وَهِيَ تُفَكِّرُ أَنَّهَا ذَكِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا رَحَلَتْ فِي اللَّيْلِ.

وَلَكِنَّ ريدي لَمْ يَعْلَمْ شَيْئًا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ. كَانَ فِي غَايَةِ التَّعَبِ، حَتَّى إِنَّهُ نَامَ وَنَامَ وَنَامَ. كَانَ مُنْتَصَفَ النَّهَارِ حِينَ اسْتَيْقَظَ أَخِيرًا. تَثَاءَبَ وَتَمَطَّى، وَحِينَ تَمَطَّى تَأَوَّهَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ التَّيَبُّسِ وَالْأَلَمِ. ثُمَّ عَرَجَ نَحْوَ الْمَدْخَلِ لِيَرَى إِنْ كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة قَدْ تَرَكَتْ أَيَّ فَطُورٍ بِالْخُرْجِ مِنْ أَجْلِهِ.

كَانَ الظَّلَامُ الشَّدِيدُ يَعُمُّ. تَحَيَّرَ ريدي. هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنَّهُ اسْتَيْقَظَ قَبْلَ الْفَجْرِ؛ أَنَّهُ لَمْ يَنَمْ بِالْقَدْرِ الَّذِي تَوَقَّعَهُ؟ رُبَّمَا نَامَ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَقَدْ حَلَّ اللَّيْلُ ثَانِيَةً. يَا إِلَهِي! كَمْ كَانَ جَوْعَانَ!

تَفَكَّرَ ريدي وَلُعَابُهُ يَسِيلُ: «أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ الْجَدَّةُ قَدْ أَمْسَكَتْ بِدَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ شَهِيَّةٍ لِي.»

وَقْتَهَا اصْطَدَمَ بِشَيْءٍ. صَرَخَ ريدي: «يَا إِلَهِي!» وَأَمْسَكَ أَنْفَهُ بِيَدَيْهِ الِاثْنَتَيْنِ. كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ عَالِقٌ بِهَا. كَانَتْ إِحْدَى الشَّوْكَاتِ الصَّغِيرَةِ الْحَادَّةِ الَّتِي يُخْفِيهَا الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي فِي كِسْوَتِهِ. عَلِمَ وَقْتَهَا الثَّعْلَبُ ريدي لِمَاذَا كَانَ الْبَيْتُ مُظْلِمًا؛ كَانَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي يَسُدُّ الْمَدْخَلَ.

الفصل الثامن والعشرون

الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي يَسْتَمْتِعُ بِوَقْتِه

اللِّسَانُ الْمُتَفَاخِرُ، تَمَامًا مِثْلُ الْقَدَرِ،
سَيُوقِعُ بِصَاحِبِهِ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

كَانَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي يَسْتَمْتِعُ بِوَقْتِهِ. لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ. كَانَ مُتَمَدِّدًا نَحْوَ مَدْخَلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ؛ الْبَيْتِ الَّذِي وُلِدَتْ فِيهِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ. عِنْدَمَا اسْتَلْقَى عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ لِيَأْخُذَ قَيْلُولَةً وَحَمَّامَ شَمْسٍ، كَانَ مُعْتَقِدًا أَنَّ الْبَيْتَ الْقَدِيمَ مَا زَالَ مَهْجُورًا. ثُمَّ غَفَا حَتَّى أَيْقَظَهُ الثَّعْلَبُ ريدي الَّذِي كَانَ نَائِمًا بِالْبَيْتِ، وَالَّذِي لَمْ يَسْتَطِعِ الْخُرُوجَ لِأَنَّ الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي كَانَ يَعْتَرِضُ الطَّرِيقَ.

لَا يُحِبُّ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي الثَّعْلَبَ ريدي، وَكُلَّمَا تَوَسَّلَ ريدي وَوَبَّخَهُ وَشَتَمَهُ، ضَحِكَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ. كَانَتْ تِلْكَ دُعَابَةً جَيِّدَةً حِينَ يُفَكِّرُ فِي مُحَاصَرَةِ ريدي، وَيُقَرِّرُ أَنْ يُبْقِيَ ريدي مُحَاصَرًا لِوَقْتٍ طَوِيلٍ لِيُضَايِقَهُ وَيُزْعِجَهُ فَحَسْبُ. فَلَقَدْ تَذَكَّرَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي كَمْ كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي يَقُومُ بِحِيَلٍ مُزْعِجَةٍ مَعَ أَهْلِ الْمُرُوجِ وَالْغَابَةِ الصِّغَارِ الَّذِينَ هُمْ أَصْغَرُ وَأَضْعَفُ مِنْهُ.

قَالَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي: «سَوْفَ يُفِيدُهُ هَذَا. بِالتَّأْكِيدِ سَوْفَ يُفِيدُهُ.» وَهَزَّ آلَافَ الشَّوْكَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يُخْفِيهَا فِي كِسْوَتِهِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ مُجَرَّدَ صَوْتِهَا سَيَجْعَلُ الثَّعْلَبَ ريدي يَرْتَعِدُ خَوْفًا.

فَجْأَةً نَصَبَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي أُذُنَيْهِ الْقَصِيرَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ الْمُضْحِكَتَيْنِ. سَمِعَ صَوْتَ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر الْغَلِيظَ، وَكَانَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. ضَحِكَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي فِي نَفْسِهِ مَرَّةً ثَانِيَةً.

قَالَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي وَهُوَ يَنْصِبُ آلَافَ الشَّوْكَاتِ الصَّغِيرَةِ مِنْ كِسْوَتِهِ الطَّوِيلَةِ حَتَّى بَدَا وَكَأَنَّهُ نَبْتَةُ كَسْتَنَاءَ شَائِكَةٌ كَبِيرَةٌ مُضْحِكَةٌ: «أَعْتَقِدُ أَنَّ السَّيِّدَ باوزر سَيُفَاجَأُ؛ أَعْتَقِدُ حَقًّا أَنَّهُ سَيَفْعَلُ.»

بِالْفِعْلِ تَفَاجَأَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر. كَانَ يُطَارِدُ الثَّعْلَبَ ريدي، وَكَادَ أَنْ يَصْطَدِمَ بِالشَّيْهَمِ بريكلي بوركي قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ. مُجَرَّدُ رُؤْيَةِ تِلْكَ الْآلَافِ مِنَ الشَّوْكَاتِ الصَّغِيرَةِ جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ بِقُشَعْرِيرَةٍ مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى طَرَفِ ذَيْلِهِ؛ لِأَنَّهُ تَذَكَّرَ كَيْفَ أُصِيبَ بِبَعْضٍ مِنْهَا فِي شَفَتَيْهِ ذَاتَ مَرَّةٍ، وَكَيْفَ كَانَ نَزْعُهَا مُؤْلِمًا. مُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ أَصْبَحَ يُكِنُّ أَكْبَرَ احْتِرَامٍ لِبريكلي بوركي.

عَوَى كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر قَائِلًا: «يَا إِلَهِي!» وَتَوَقَّفَ فَجْأَةً ثُمَّ أَضَافَ: «مَعْذِرَةً أَيُّهَا الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي، مَعْذِرَةً، لَمْ أَعْلَمْ أَنَّكَ تَأْخُذُ قَيْلُولَةً هُنَا.»

طَوَالَ الْوَقْتِ كَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر يَبْتَعِدُ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ، ثُمَّ اسْتَدَارَ وَوَضَعَ ذَيْلَهُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ وَهَرَبَ بَعِيدًا.

تَمَدَّدَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي بِبُطْءٍ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ وَهُوَ يُشَاهِدُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر يَهْرُبُ، وَقَالَ:

إِنَّ باوزر كَبِيرٌ جِدًّا وَقَوِيٌّ،
صَوْتُهُ غَلِيظٌ، أَقْدَامُهُ طَوِيلَةٌ،
نُبَاحُهُ يُخِيفُ الْبَعْضَ حَتَّى الْمَوْتِ.
وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ فَهُوَ يُضَيِّعُ وَقْتَهُ،
فَقَطْ أَلْتَفُّ وَأَهُزُّ أَشْوَاكِي،
وَباوزر هُوَ مَنْ يَخَافُ.

قَالَ هَذَا الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي وَضَحِكَ عَالِيًا. حِينَهَا سَمِعَ صَوْتَ أَقْدَامٍ خَافِتًا، وَاسْتَدَارَ لِيَرَى مَنْ آتٍ. كَانَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ. كَانَتْ قَدْ رَأَتْ باوزر يَهْرُبُ، وَالْآنَ كَانَتْ مُتَلَهِّفَةً لِتَعْرِفَ إِنْ كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي بِأَمَانٍ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة وَهِيَ حَذِرَةٌ أَلَّا تَقْتَرِبَ كَثِيرًا: «صَبَاحُ الْخَيْرِ.»

رَدَّ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي وَهُوَ يُخْفِي ابْتِسَامَةً: «صَبَاحُ الْخَيْرِ.»

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «إِنَّنِي مُتْعَبَةٌ جِدًّا وَأَوَدُّ الدُّخُولَ إِلَى بَيْتِي. أَيُمْكِنُكَ أَنْ تَبْتَعِدَ الْآنَ؟»

هَتَفَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي: «أُوهْ! أَهَذَا بَيْتُكِ؟ ظَنَنْتُ أَنَّكِ تَسْكُنِينَ هُنَاكَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ.»

أَجَابَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «بِالْفِعْلِ، وَلَكِنِّي انْتَقَلْتُ. اسْمَحْ لِي بِالدُّخُولِ.»

قَالَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي: «بِالتَّأْكِيدِ، بِالتَّأْكِيدِ. لَا تُبَالِي بِي أَيُّهَا الْجَدَّةُ ثعلبة. اخْطِي مِنْ فَوْقِي.» وَابْتَسَمَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ نَصَبَ أَشْوَاكَهُ الصَّغِيرَةَ.

بَدَلًا مِنْ أَنْ تَخْطُوَ الْجَدَّةُ ثعلبة مِنْ فَوْقِهِ ابْتَعَدَتْ عَنْهُ.

الفصل التاسع والعشرون

الْبَيْتُ الْجَدِيدُ فِي الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ

مَنْ يَنْتَبِهْ لِأَصَابِعِ قَدَمِه،
لَا يَخْشَ أَنْ تَصْطَدِمَ أَنْفُهُ.

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ

لَا شَيْءَ يَجْعَلُ أَحَدًا يُفَكِّرُ أَكْثَرُ مِنَ الْحَبْسِ فِي الظَّلَامِ وَحِيدًا. بَدَأَ صَوْتٌ دَاخِلَ ريدي يَهْمِسُ لَهُ. قَالَ لَهُ الصَّوْتُ: «لَوْ لَمْ تُحَاوِلْ أَنْ تَتَحَاذَقَ وَتَتَبَاهَى لَمَا جَلَبْتَ كُلَّ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلَى الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ.»

أَجَابَ ريدي بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَعْلَمُ ذَلِكَ!» وَنَسِيَ أَنَّهُ مُجَرَّدُ صَوْتٍ ضَعِيفٍ بِدَاخِلِهِ.

سَأَلَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي: «مَاذَا تَعْلَمُ؟» كَانَ لَا يَزَالُ يَحْتَجِزُ ريدي بِالدَّاخِلِ وَالْجَدَّةُ بِالْخَارِجِ وَسَمِعَ مَا قَالَهُ ريدي.

رَدَّ ريدي بِعُنْفٍ: «لَا شَأْنَ لَكَ بِذَلِكَ!»

سَمِعَ ريدي الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي يَضْحَكُ ضِحْكَةً خَافِتَةً. ثُمَّ رَدَّدَ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي مَا يَلِي وَكَأَنَّهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَوْتٍ أَجَشَّ عَلِيلٍ:

لَا تَنْفَعُ الْفَظَاظَةُ أَبَدًا أَبَدًا،
وَلَا يُوجَدُ نَفْعٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْوَقَاحَةِ.
مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَكُونَ دَائِمًا مُهَذَّبًا،
وَلَا تُعْطِ مَجَالًا لِلضَّغِينَةِ الْمُتَّسِمَةِ بِالْوَقَاحَةِ.
إِذَا كَانَ هَذَا مَا تَشْعُرُ بِهِ بِدَاخِلِكَ،

يَجِبُ أَنْ تُخْفِيَ كُلَّ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ؛
لِأَنَّ مَنْ يَأْمُلُ الْفَوْزَ يَجِبُ أَنْ يَبْتَسِمَ،
وَمَنْ يَخْسَرُ سَيَتَجَهَّمُ بِالْأَكْثَرِ.

تَظَاهَرَ ريدي أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ. اسْتَمَرَّ الشَّيْهَمُ بريكلي بوركي فِي الضَّحِكِ لِفَتْرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ. وَأَخِيرًا غَفَا ريدي، وحِينَ اسْتَيْقَظَ وَجَدَ أَنَّ الشَّيْهَمَ بريكلي بوركي قَدْ رَحَلَ، وَأَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ أَحْضَرَتْ لَهُ بَعْضَ الطَّعَامِ.

حَالَمَا اسْتَطَاعَ ريدي الْمَشْيَ، رَحَلَ هُوَ وَالْجَدَّةُ إِلَى الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ. إِنَّ الْمَرَاعِيَ الْقَدِيمَةَ تَخْتَلِفُ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ عَنِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. نَعَمْ، بِالْفِعْلِ، إِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ جِدًّا جِدًّا. ظَنَّ الثَّعْلَبُ ريدي هَكَذَا. وَلَمْ يَرُقْ لِريدي التَّغْيِيرُ، مُطْلَقًا. مَا يُوجَدُ هُنَاكَ كَانَ الصُّخُورَ الْكَبِيرَةَ وَحَوْلَهَا وَفَوْقَهَا تَنْمُو أَجَمَةٌ وَأَشْجَارٌ صَغِيرَةٌ، وَالْأَغْصَانُ الشَّائِكَةُ بِأَشْوَاكٍ طَوِيلَةٍ مُزْعِجَةٍ، وَقَصَبُ ثَمَرِ الْعَلِيقِ، وَالتُّوتُ الَّذِي بَدَا وَكَأَنَّ لَهُ مَلَايِينَ الْأَيَادِي الْمُتَشَابِكَةِ، تُحَاوِلُ أَنْ تُمْسِكَ بِمِعْطَفِهِ الْأَحْمَرِ وَتُمَزِّقَهُ وَتَخْدِشَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ. كَانَ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمَفْتُوحَةِ حَيْثُ تَرْعَى الْمَاشِيَةُ ذَاتُ الْعُيُونِ الْبَرِّيَّةِ عَلَى الْحَشَائِشِ الْقَصِيرَةِ. لَقَدْ صَنَعَتِ الْكَثِيرَ مِنَ الطُّرُقِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَتَقَاطَعُ بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ، فَإِنْ حَاوَلْتَ أَنْ تَتَتَبَّعَ إِحْدَى هَذِهِ الطُّرُقِ فَلَنْ تَعْرِفَ أَيْنَ سَيَنْتَهِي بِكَ الْمَطَافُ.

لَا، لَمْ يُحِبَّ الثَّعْلَبُ ريدي الْمَرَاعِيَ الْقَدِيمَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَمْ تُوجَدْ حَشَائِشُ نَاعِمَةٌ طَوِيلَةٌ لِلتَّمَدُّدِ عَلَيْهَا. وَكَانَ الْمَكَانُ مُنْعَزِلًا. لَقَدِ افْتَقَدَ أَهْلَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارَ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَحَدٌ لِيَسْتَفِزَّهُ وَيُضَايِقَهُ. وَكَانَتِ الْمَسَافَةُ طَوِيلَةً جِدًّا مِنْ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَمْ تُبَالِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِأَنْ تَأْتِيَ لَهُ بِدَجَاجَةٍ سَمِينَةٍ. عَلَى الْأَقَلِّ، هَذَا مَا أَخْبَرَتْ بِهِ ريدي.

فِي الْحَقِيقَةِ، إِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ عَلِمَتْ أَنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ تَقُومُ بِهِ هُوَ الِابْتِعَادُ عَنْ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ. كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ ريدي لَنْ يَسْتَطِيعَ الذَّهَابَ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَزَالُ ضَعِيفًا وَمُتَأَلِّمًا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُسَافِرَ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الطَّوِيلَةِ، وَأَمَلَتْ أَنَّهُ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ سَيَتَحَسَّنُ ريدي وَيَسْتَطِيعُ الذَّهَابَ، فَهُوَ الْآنَ قَدْ تَعَلَّمَ أَلَّا يَقُومَ بِشَيْءٍ

غَبِيٍّ مِثْلِ مُحَاوَلَتِهِ أَنْ يَتَبَاهَى بِسَرِقَةِ دَجَاجَةٍ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، مِثْلَمَا فَعَلَ حِينَ جَلَبَ عَلَيْهِمَا كُلَّ تِلْكَ الْمَشَاكِلِ.

هُنَاكَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، كَانَ بَيْتُ الْجَدَّةِ وَالثَّعْلَبِ ريدي عَلَى رَبْوَةٍ صَغِيرَةٍ، وَهِيَ كَمَا تَعْلَمُونَ تَلٌّ مُنْخَفِضٌ؛ حَيْثُ يَسْتَطِيعَانِ الْجُلُوسَ عِنْدَ عَتَبَةِ بَابِهِمَا وَرُؤْيَةَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ كُلِّهَا. كَانَ الْمَنْظَرُ جَمِيلًا جِدًّا هُنَاكَ. كَانَا قَدْ هَيَّآ طُرُقًا صَغِيرَةً جَمِيلَةً بَيْنَ حَشَائِشِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الطَّوِيلَةِ، وَكَانَتْ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ وَزُهُورُ الرَّبِيعِ قَدْ نَمَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ عَتَبَةِ بَابِهِمَا. وَلَكِنْ هُنَا فِي الْمَرَاعِي الْقَدِيمَةِ اخْتَارَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة أَكْثَرَ الْأَجَمَاتِ وَالْأَشْجَارِ الصَّغِيرَةِ كَثَافَةً، وَبِالْوَسَطِ كَانَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصُّخُورِ. بَيْنَ تِلْكَ الصُّخُورِ حَفَرَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة بَيْتَهُمَا الْجَدِيدَ. كَانَ بِأَسْفَلِ الصُّخُورِ مُبَاشَرَةً. حَتَّى فِي مُنْتَصَفِ النَّهَارِ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ بِالْكَادِ يُلْقِي عَلَيْهِ بِقَلِيلٍ مِنَ أَشِعَّتِهِ الْمُشْرِقَةِ الطَّوِيلَةِ. كَانَ الْمَكَانُ مُظْلِمًا وَكَئِيبًا طَوَالَ بَقِيَّةِ الْوَقْتِ.

لَا يُحِبُّ الثَّعْلَبُ ريدي بَيْتَهُ الْجَدِيدَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنْ حِينَ قَالَ هَذَا لَكَمَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ أُذُنَيْهِ.

قَالَتْ: «أَنْتَ السَّبَبُ فِي أَنَّنَا اضْطُرِرْنَا إِلَى الْعَيْشِ هُنَا الْآنَ. هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الْوَحِيدُ الْآمِنُ لَنَا. لَنْ يَجِدَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَذَا الْبَيْتَ أَبَدًا، وَحَتَّى إِذَا وَجَدَهُ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَحْفُرَ فِيهِ مِثْلَمَا فَعَلَ فِي بَيْتِنَا الْقَدِيمِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. هَا نَحْنُ الْآنَ، وَهَا هُنَا يَجِبُ أَنْ نَمْكُثَ، وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّ ثَعْلَبًا صَغِيرًا أَحْمَقَ ظَنَّ أَنَّهُ أَذْكَى مِنْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ وَحَاوَلَ أَنْ يَتَبَاهَى.»

نَكَّسَ ريدي رَأْسَهُ وَقَالَ: «لَا يُهِمُّنِي!» وَكَانَ هَذَا سَخِيفًا جِدًّا جِدًّا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُهِمُّهُ ذَلِكَ كَثِيرًا جِدًّا.